Faculty of Usuluddin
Acc No .....

INTERNATIONAL ISLAMIC
UNIVERSITY
Islamabad- Pakistan
Faculty of Usuluddin
Department of Comparative Religions

الجـامعة الإســلامية العــالمية
إسلام آباد- باكستان
كلية أصول الدين
قســم مقــارنة الأديـــان

# الزهد بين الإسلام والمسيحية
## دراسة مقارنة

( بحث تكميلي لنيل درجة الماجستير في مقارنة الأديان)

إعداد الباحث:
**محمد أويصال**

إشراف:
**الأستاذ الدكتور/مصعب الخير إدريس الادريسي.**
الأستاذ المساعد بقسم العقيدة والفلسفة

رقم التسجيل: 543-FU/MA/2000
العام الجامعي ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م

TH 13137

# لجنـــــة المناقشـــة

تمت مناقشة هذا البحث في يوم السبت.

التاريخ : / / ١٤٢٨هـ الموافق :٢٨/٦/٢٠٠٧ م .

ومنح الطالب درجة : .....

| أسماء أعضـــــاء لجنـــة المناقشة | توقيعـــــاتهم |
|---|---|
| المناقش الخارجي: د/ علي أحمد حشي | |
| المناقش الداخلي : د/ أحمد صبان الأزهري | |
| المشرف على البحث : د/ مصطفى البراديعي | |

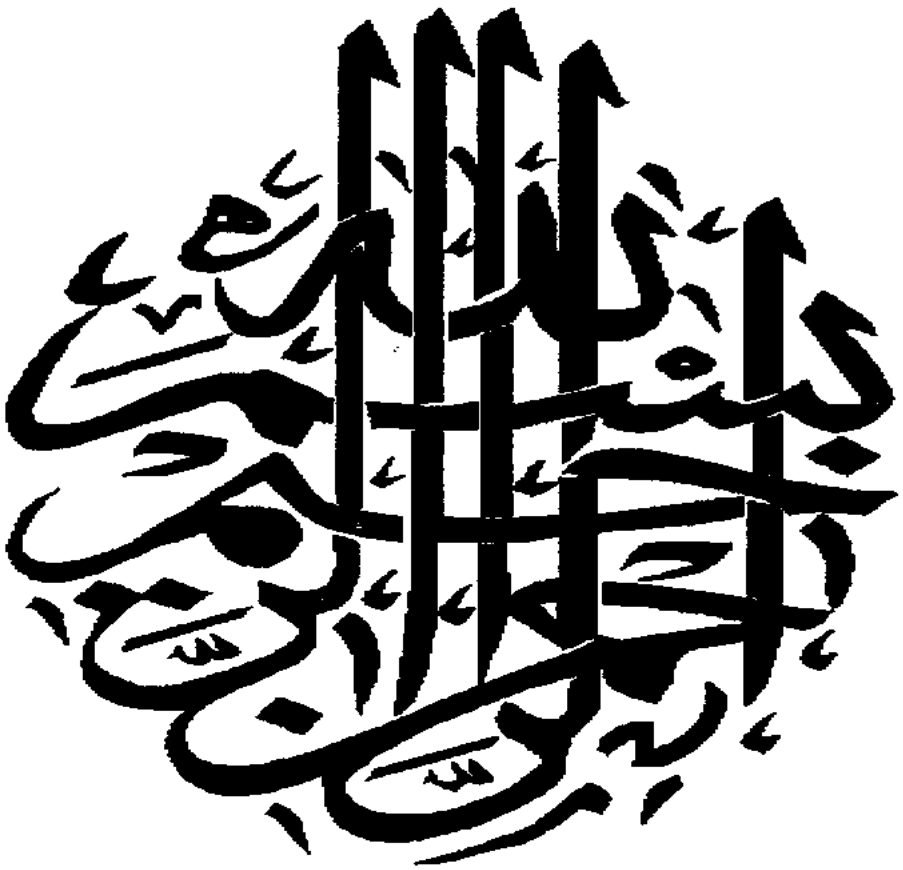

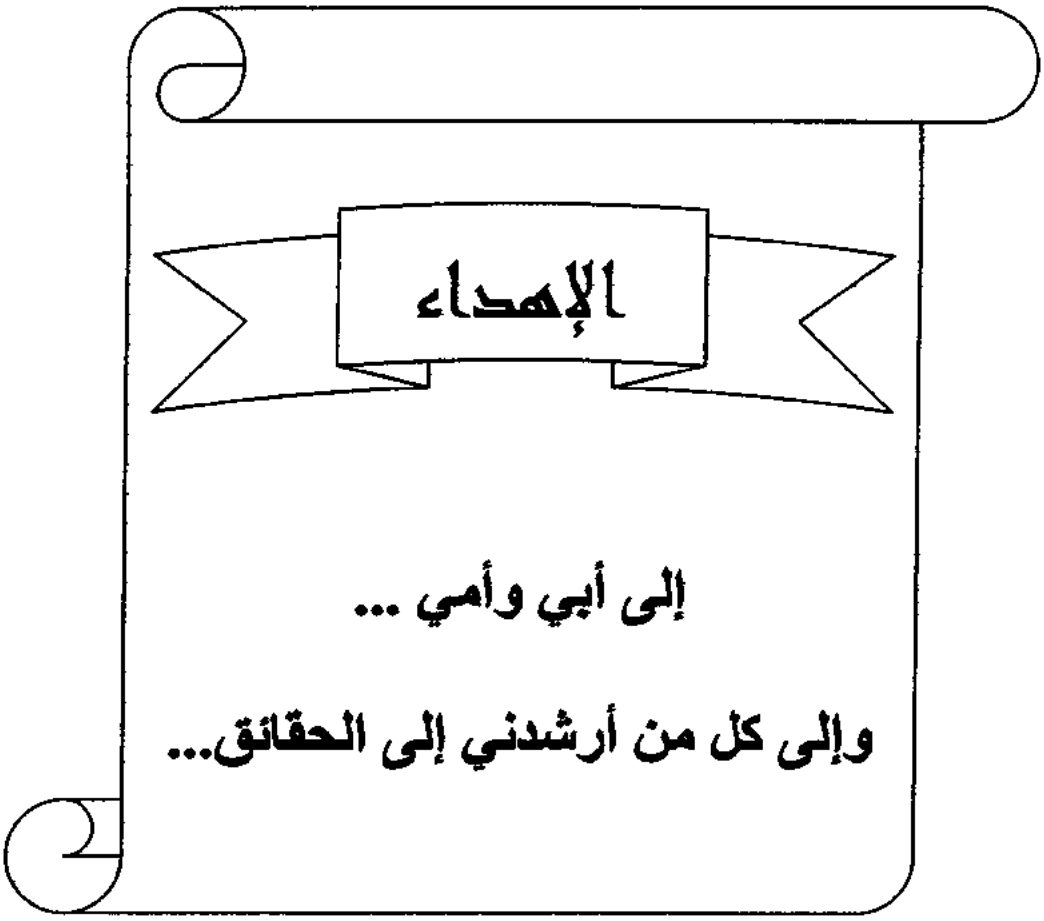
الإهداء
إلى أبي وأمي ...
وإلى كل من أرشدني إلى الحقائق...

# شكروعرفان

انطلاقا من قوله تعالى (أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ)

أولا: أشكر الله تعالى على أن وفقني في اتمام رسالتي هذه وأرجو أن يكون ذلك خالصا لوجهه الكريم

ثانيا: أرفع شكري وتقديري إلى من لهما فضل علي بعد الله تعالى الذين لا أستطيع وفاء فضلهما مهما فعلت، إلى الوالدين الكريمين العزيزين على قلبي لهما حبي وتقديري على مر الزمان، وأبد الآبدين.

ثالثا: أقدم شكري الجزيل للأستاذ الدكتور/ دين محمد عميد كلية أصول بالجامعة الإسلامية العالمية(سابقا) ، ووكيل كلية الشريعة والدراسات الإسلامية بجامعة قطر (حاليا) مشرفي الذي له الفضل على بحثي هذا من حيث ولادته على يديه إلى أن نضج البحث وبلغ الرشد، وأثمر أينع قطافه ، وكل ذلك كان تحت متابعته وإرشاده الذي أثرى بحثي هذا حتى خرج على هذا الوجه المثمر،وكان هو المرشد لي في بحثي هذا حتى عندما انتسب إلى جامعة قطر كان لا يزال على إشرافه وتوجيهاته لي رغم بعد المسافة بيني وبينه فله جزيل الشكر والعرفان.

رابعا: أقدم شكري وتقديري للأستاذ الدكتور/ مصعب الخير الادريسي مشرفي الثاني لقبوله الاشراف على رسالتي هذه عن سعة أفقه ورحابة صدره، ولما قدم إلي من نصائح وتوجيهات وتعديلات التي أخرجت البحث على هذا الوجه اللائق المشرف فجزاه الله خير الجزاء.

خامسا: أشكر الجامعة الاسلامية العالمية التي أتاحت لي الدراسة في أورقتها ، كما أقدم شكري لكلية أصول الدين التي درست فيها متمثلة بأساتذها الكرام الذين بذلوا الجهد الكثير في إيصال العلم النقي إلينا فجزاهم الله عنا كل خير.

سادسا: أقدم شكري إلى كل من ساعدني في بحثي هذا وأخص بالذكر الأستاذ/ منذر علي، على مساعدته لي في أثناء بحثي، والأخ/ نصرالدين ابراهيم الاثيوبي،وكل من ساعدني في بحثي هذا من قريب أو بيعد ، فجزى الله الجميع خيرا.

## المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد صلى الله عليه وسلم.

أما بعد، فإننا نعيش نحن المسلمين في فترة زمنية كثرت فيها إغواءات الشيطان وإغواءات الدنيا ومن يجرى وراء هذه الإغواءات بشكل غير مسبوق ما رأيناه ولاسمعنا عنه في تاريخ الإسلام. وفى الوقت نفسه نعاني مشكلة عدم وجود العلماء الصالحين الذين يتعالون على الدنيا وشهواتها، والذين لم يخضعوا أمام أهواء الدنيا مثل المال والشهرة والمقام، ولم يبيعوا دينهم بعرض من الدنيا ليكونوا قدوة صالحة على نحو ماكان من العلماء السابقين في تاريخ الإسلام المجيد.

سواء أرجعنا أسباب هذه النزعة الضالة والمضلة إلى تقليد المسلمين للحضارة الغربية المادية التى وضعت المادة في مركز عقيدتها وتفكيرها أو إلى ضعف الاعتقاد أو إلى أسباب أخرى والحقيقة لا تتغير.

ونرى في نفوس المسلمين والمجتمعات الإسلامية تغيرات نحو الدنيا. تغير مفهوم الإسلام الذى كان يدعو إلى إيثار الأخرة على الدنيا وكان يدعو إلى أن يكون المسلم سيد الدنيا ويستعملها كما يريد الله، لا عبدا لها ويكون لعبة في يد الشيطان.

وإذا كان هدف العلم العمل وهدف الجامعات حل مشاكل الناس والمجتمعات بتصحيح المفاهيم وإرشادهم إلى الحق؛ فانى أرى في إختيارى موضوع الزهد خيرا كثيرا. وأنا لا أهدف إلى مجرد الحصول على درجة علمية فحسب بل أريد تذكير الناس بمبدء من مبادىء الإسلام الذى غفل عنه معظم الناس من عوامهم وخواصهم في هذا العصر. "وذكر فإن الذكرى تنفع المؤمنين"

الزهد في مفهومه يتعلق مباشرة بالإنسان وعلاقته بالله وبالدنيا، وهو موضوع حي في الماضى والحاضر والمستقبل. له أصل في القرآن والسنة وله تجليات في حياة النبى صلى الله عليه وسلم وأصحابه والتابعين والمجتمع الإسلامى.

والزهد رغم ووضوحه غفل عنه المسلمين نظريا وعمليا خاصة في هذا العصر. ونستطيع أن نعذر العوام بسبب جهلهم، ولكن كيف نعذر خواص المسلمين ووظيفتهم أن يرشدوا العوام إلى حقائق الإسلام. من أجل ذلك نستطيع أن نقول بسهولة إن المسلمين في إنحرافهم عن حقيقة الزهد على أقسام:

منهم من يرى أن الزهد من أسباب تخلفنا أمام الغرب المادى ونعى على علماء الإسلام أنهم لم يشجعوا المسلمين على العمل للدنيا. كما يقول شيخ الإسلام مصطفى صبرى " منذ زمن يُنتقد علماء الشريعة أنهم بدعوتهم أن الدنيا فانية يبعدون الناس عن الحياة الدنيا ولايحثون الناس على كسب المال. ولكن علماء الدين ليس عليهم تعليم الناس الذين يبحثون عن ثدى أمهم بعد ولادتهم مباشرة وظائفهم ومنافعهم و احتياجاتهم الطبيعية التى يستطيعون أن يدركوها بطبيعتهم. ليس فقط الناس بل الحيوانات تستغني عن مثل هذه النصائح، لا تبقى جوعان، ضع لقمتك فى فمك، اذا تعبت استرح. ولكن وظيفة

العلماء أن يرشدوا الناس إلى الحقائق مثل أن على الانسان أن لا ينسى الاخرة عندما يكسب في حياته و يراعى حقوق الناس، ويبتعد عن الرذائل التى سببها حرص النفس على الدنيا والتى لا تليق بعزة النفس والأخلاق العالية. ولا بد أن لا يقنت عن رحمة الله فى التوكل والعمل ويزيد فى قوته المادية قوة معنوية.[1]

ومنهم من يرى الزهد من المفاهيم السلبية التى لا بد أن نتخلص منها في هذا العصر مثل د.حس حنفى. وهو يقول " والتصوف يمثل خطورة كبرى على وجداننا المعاصر وسلوكنا القومى، تعادل خطورة الكلام ، بما يمثله من قيم سلبية من صبر، وتوكل، ورضا، وقناعة، وخوف، وخشية، وبكاء، وحزن، إلى ما هو معروف من مقامات وأحوال.[2]

ومنهم من يرى أن الزهد في المجتمع الإسلامى ليس إلا نمطا من أنماط الحياة الرهبانية كما سنرى بتفاصيل فى البحث.

ومنهم بعض العلماء الذين باعوا دينهم ليحصلوا على شهوات الدنيا وأصبحوا لعبة في يد السياسيين وأصحاب الأموال في إخفاء الحقائق وتحريف المفاهيم.

وفى النهاية كل هذه المحاولات تأدى إلى نسيان الناس قيمة مهمة من قيم الإسلام.

وفى هذه الحالة ليس علينا إلا أن نضع أمام الباحثين عن الحقائق مفهوم الزهد في الإسلام ومصادره ومظاهره في المجتمع الإسلامى واختلافه عن الرهبانية فىالمسيحية بقدر علمنا وفهمنا للموضوع.

وهنا واجب على أن أذكر أستاذى ومشرفى الأستاذ الدكتور دين محمد الذى أرشدنى إلى هذه الحقائق وشجعنى على كتابة هذا الموضوع.

والدراسات السابقة في الموضوع برغم كثرتها مستقلا عن الزهد و الرهبانية ؛ مثل: نشأة الفكر الفلسفى فى الإسلام جـ٣ للدكتور علي سامي النشار و هو من المراجع التى اعتمدت عليها كثيرا فى الزهد، والرهبانية المسيحية و موقف الإسلام منها للدكتور عحمد على عجيبة و الحياة الرهبانية تاريخها طرقها وقيمها لابوان يوسف قزي وإميل عقيقي فإنها لم تتناول الموضوع مقارنا إلا كتاب *The Way of The Mystics* لـ Margaret Smith وهى في كتابها بدلا من أن تعطى لنا حقائق علمية تحاول أن تثبت تأثر القرآن من العهد الجديد وتأثر النبى صلى الله عليه والمسلمين من المسيحية المحرفة التى ليس لها أصول صحيحة لا في عقيدتها ولا في عباداتها ولا في أخلاقياتها.

---

[1]- Dini Muceddidler s.122, Seyhulislam Mustafa Sabri Efendi, Sebil Yayinevi, Istanbul, 1977.

٢ -التراث والتجديد، ص.١٧٨ د.حسن حنفى، ط٤، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ١٩٩٢، القاهرة، مصر

على كل حال هى جمعت مادة علمية وافرة؛ خاصة عن رهبان النصارى، وسهلت لنا الطريق في بحثنا. نأخذ معلوماتها ونرفض تحليلاتها وتفسيراتها التى تنقصها النظرة العلمية إلى الإسلام والمسلمين الزهاد.

سأحاول في رسالتى في المبحث الأول من الفصل الأول الزهد في القرآن والسنة وفى حياة السلف، وفى المبحث الثانى مدارس الزهد التى فيها مظاهر الزهد في المجتمع الإسلامى وفى المبحث الثالث تطور الزهد في المجتمع الإسلامى هل هو على حاله الأصلى أم تغير وأخذا شكلا أخر.ومن هؤلاء الذين كانوا يمثلون الزهد في تلك العصور.

ثم أنتقل إلى الفصل الثانى وأحاول أن أبين في المبحث الأول مفهوم الزهد عند النصارى إبتداء من عيسى عليه السلام وفى المجتمع المسيحى الأول. وفى المبحث الثانى الزهد في عصر الآباء. وفى المبحث الثالث تحول الزهد إلى الرهبانية والمؤسسات الرهبانية.

وفى الفصل الثالث سأحاول أن أقارن لكي يظهر فروق الزهد بين الإسلام والمسيحية في أصوله ومناهجه ومصادره وأهدافه.

وسأحاول في دراستي أن أعتمد على المصادر الأصلية مثل التفاسير وكتب الأحاديث وشروحه وكتب أهل التصوف في الإسلام والأناجيل وكتابات علماء النصارى في المسيحية حتى يظهر الزهد و الرهبانية كما يفهم أصحابهم و حتى يكون البحث بعيد عن الاتهامات بتحريف الموضوع.

وأن أعتمد على كتب التصوف فىالموضوع من مقتضيات البحث. لأن كما كان للفقه علماؤه ولإعلم الكلام علماؤه لعلم الزهد علماء وهم أهل التصوف.

وآخيرا نسأل الله أن يوفقنا إلى ما يريده ويعصمنا عن الأخطاء حتى لا نصبح فتنة للذين آمنوا.

فإن أحسنت فمن فضل الله تعالى وإن قصرت فمن نفسى. ﴿وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾[1]

اللهم علمنا ما ينفعنا وأنفعنا بما علمتنا وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

---

[1] – سورة الإسراء،٨٥

# الفصل الأول

## الزهدفي الإسلام: مفهومه نشأته وتطوره

المبحث الأول: الزهدفي القرآن والسنة وفي حياة السلف.

المبحث الثاني: المدارس الزهدية الأولى في المجتمع الإسلامي.

- مدرسة المدينة
- مدرسة الشام
- مدرسة العراق
- مدرسة خراسان
- مدرسة مصر

المبحث الثالث:تطور الزهد في المجتمع لإسلامي في ضوء الكتاب والسنة.

*******

## المبحث الأول: الزهد في القرآن والسنة وفي حياة السلف

### تعريف الزهد

الزهد لغة هو ضد الرغبة والحرص على الدنيا والزهادة في الأشياء كلها ضد الرغبة[1].

زهد فيه وعنه زهداً وزهادة: أعرض عنه وتركه لاحتقاره، أو لتحرجه منه، أو لقلته[2].

والتزهيد في الشيء وعن الشيء خلاف الترغيب فيه. والزهيد الحقير. وعطاء زهيد قليل.

وفيه معنى التعبد أيضاً فلان يتزهد ـ أي يتعبد ـ[3].

اصطلاحاً: ومن أشهر تعريفات الزهد لمعناه الاصطلاحي قال الجنيد(تـ ٢٩٨ هـ): اصتصغار الدنيا ومحو آثارها من القلب.

وقال أيضاً: خلو اليد من الملك وخلو القلب من التتبع.

قال الشبلي(تـ٣٣٤ هـ): أن تزهد في ما سوى الله تعالى.

وقال السري السقطي(تـ ٢٥٣ هـ): الزهد ترك حظوظ النفس من جميع ما في الدنيا أي لا يفرح بشيء منها ولا يحزن على فقده ولا يأخذ منها إلا ما يعينه على طاعة ربه أو ما أمر في أخذه مع دوام الذكر والمراقبة والتفكر في الآخرة.

وقال أبو عثمان(تـ ٢٩٨ هـ): الزهد أن تترك الدنيا ثم لا تبالي بمن أخذها.

وقال ابن خفيف: الزهد سلو القلب من الأسباب ونفض الأيد من الأملاك[4].

وقال ابن الجوزي الزهد: عبارة عن انصراف الرغبة عن الشيء إلى ما هو خير منه، وشرط المرغوب عنه أن يكون مرغوباً بوجه من الوجوه، فمن رغب عن شيء ليس مرغوباً فيه، ولا مطلوباً في نفسه لم يسمى زاهداً[5].

وقال ابن القيم: إن الزهد سفر القلب من وطن الدنيا وأخذه من منازل الآخرة[6].

---

١ ــ لسان العرب، ابن منظور ١٩٦/٣ دار إحياء التراث العربي، ط١، بيروت، لبنان، ١٩٨٨.

٢ ــ المعجم الوسيط، ٤٠٣/١ إبراهم انيس، القاهرة، دار المعارف، ١٩٧٦

٣ ــ لسان العرب ١٩٦/٣ــ١٩٨.

٤ ــ الرسالة القشيرية ص٦١ــ٦٢، الإمام ابو القاسم عبد الكرين ابن هوزان القشيرى، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة، مصر، ١٩٥٩

٥ ــ مختصر منهاج القاصدين ص ٣٢٤ (بتصرف).

٦ ــ مدارج السالكين ١٣/٢.

## مصادر الزهد

إن للإسلام مفاهيم صحيحة كاملة في كل شأن من شؤون الكون والإنسان والحياة. ومفاهيم الإسلام مبرأة من آفات الغموض والتقيد وعن الفرضيات وعن اعتماد إلى الأساطير والأوهام. لأنها ليست منبعثة عن نظرة بشرية محدودة. إن مفاهيم الإسلام منبعثة عن عقيدة ربانية شاملة لا ترتكز إلا على الحقائق الجلية الثابتة ولا تقوم إلا على اليقين الجازم، وهي متسمة بالوضوح والصدق والعمق، وتقيم لدى البشر جميعاً التصور الصحيح الدقيق المتكامل للكون والإنسان والحياة[1].

وهذا الوضوح والصحة والدقة لا تأتي إلا لأجل إسناد هذه المفاهيم على مصدرين أساسيين وهما الوحي المنزل من الله والمعصوم على حياة النبي صلى الله عليه وسلم الذي كان يعيش هذا الوحي ويطبق في كل حياته الفردية والاجتماعية. ومن هذه المفاهيم التي صحت معناها بالوضوح والدقة مفهوم الزهد الذي يعين موقف الإنسان في الحياة الدنيا والذي ينظم علاقته بالحياة الدنيا وعلاقته بالله وبالآخرة أو بالدين والدنيا ولا غرو أن يكون هذا الوضوح في مصدرين الأساسين لدين الإسلام الذي يتسم من حيث إقامتها التصور الصحيح للإنسان وعلاقته بالحياة بالتوفيق التام بين الوجهتين الروحية والمادية[2].

---

١ ــ لمحات من الثقافة الإسلامية ص٥٣ــ٥٤ عمر عودة الخطيب، ط٧، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ١٩٨١ (بالتصرف).

٢ ــ السابق ص٦٨.

## مفهوم الزهد في القرآن

في القرآن ما جاء لفظ الزهد إلا مرة واحدة وهي إن حفظت على المعنى اللغوي لم تستوعب المعنى الاصطلاحي لمفهوم الزهد في الإسلام. قال تعال ﴿وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ وَكَانُوا فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ﴾[1]

من أجل ذلك في هذا المبحث سننظر إلى الآيات التي تشير إلى حقيقة الحياة الدنيا وكيفية التعامل معها حتى نصل إلى حقيقة الزهد في القرآن.

إن الله تعالى خلق الإنسان في أحسن تقويم ثم رده إلى أسفل السافلين ﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ﴾[2].

والإنسان لم يهبط من مرتبته العالية إلا بسبب إغواء الشيطان قال: ﴿قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ ﴾[3]. وهو يغوي الناس بتزين الشهوات وبالتزين في الأرض. ﴿ قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾[4].

والحياة الدنيا مليئة بالشهوات والإنسان الذي لا يعرف كيف يتعامل مع هذه الشهوات يكون هباءاً منثوراً. ومن رحمة الله تعالى على الناس أنه أنزل وحياً يبين حقيقة الحياة الدنيا وشهواتها ويبين كيفية علاقة الإنسان بهذه الحياة الدنيا حتى يعيش بدون إفراط وتفريط ويجعل كل حياته عبادة له حتى يحقق غايته الأصلية من خلقه ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾[5].

لكي نفهم مفهوم الزهد في القرآن لا بد أن نفهم أولاً ما هي الدنيا كما قال أحد العلماء أي شيء هو ليس يمكن عبد أن يعرف الزهد حتى يعرف الدنيا أي شيء هي؟[6].

الدنيا لغة: من دنا الشيء دنوءاً ودناوة، أي قرب ـ سميت الدنيا لدنوها ولأنها دنت وتأخرت عن الآخرة وكذلك السماء الدنيا هي القربى إلينا. والدنيا نقيض الآخرة وللدنيا أيضاً اسم لهذه الحياة لبعد الآخرة عنها.

و قال الفراء: هو من الدناء[7].

وشرح صاحب قوت القلوب أبو طالب المكي ما هية الدنيا اعتماداً على الآيات بطريقة جميلة.

---

١ -سورة يوسف، ٢٠

٢ ــ سورة تين، الآية ٤، ٥.

٣ ــ سورة ص-٨٣

٤ ــ سورة الحجر-٣٩

٥ ــ سورة الذاريات، الآية٥٦.

٦ ــ قوت القلوب ٤٩١/١

٧ ــ لسان العرب ٢٧٢/١٤ــ٢٧٤.

"فقد ذكر الله جل اسمه في كتابه أن الدنيا سبعة أشياء وهو قوله تعالى:﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَٰلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِندَهُ حُسْنُ الْمَآبِ﴾[1]. ثم قال في آخرها ﴿ذلك مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾[2] فحصل من تدبر الخطاب أن هذه السبعة جملة الدنيا وأن هذه الدنيا هذه الأوصاف السبعة. ما تفرع من الشهوات رد إلى أصل من هذه الجمل. فمن أحب جميعها فقد أحب جملة الدنيا نهاية الحب ومن أحب أصلاً منها أو فرعاً من أصل فقد أحب بعض الدنيا فعلمنا بنص الكلام أن الشهوة دنيا وفهمنا من دليله أن الحاجات ليست بدنيا لأنها تقع ضرورات. ثم سمعناه تعالى وجل قد رد هذه سبعة الأوصاف في مكان آخر إلى خمسة معان فقال جل من قائل ﴿اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ﴾[3]. فهذه الخمسة هي وصف من أحب تلك السبعة. ثم اختصر الخمسة في معنيين: منها هما جامعان للسبعة فقال إنما الحياة الدنيا لعب ولهو ثم رد الإثنين إلى وصف واحد وعبر عنه بمعنيين فصارت الدنيا ترجع إلى شيئين جامعين مختصرين يصلح أن يكون كل واحد منها هو الدنيا. فالوصف الواحد الذي رد الاثنين إليه اللذان هما اللعب واللهو هو الهوى اندرجت السبعة فيه.

فقال عزّوجل:﴿ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ (٤٠) فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ ﴾[4].

فصارت الدنيا طاعة النفس للهوى بدليل قوله تعالى﴿ فَأَمَّا مَنْ طَغَىٰ (٣٧) وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا (٣٨) فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَىٰ ﴾[5]. فلما كانت الجنة ضد الجحيم كان الهوى هو الدنيا لأن النهي عنه ضد الإيثار له. فمن نهى نفسه عن الهوى فإنه لم يؤثر الدنيا وإذا لم يؤثر الدنيا فهذا هو الزهد، كانت له الجنة التي هي ضد الجحيم الذى هي لم ينهى نفسه عن الهوى بإيثاره الدنيا فصارت الدنيا هي طاعة الهوى وإيثاره في كل شيء فينبغي أن يكون الزهد مخالفة الهوى من كل شيء.[6]

بعدما بعدما عرفنا حقيقة حياة الدنيا نجد هناك آيات كثيرة أيضاً أن هذه الحياة الدنيا ليست لها قيمة بنسبة الآخرة والآخرة خير لمن التقى وهي الحياة التي لا تفنى.

---

١ ــ سورة آل عمران، الآية ١٤.

٢ ــ سورة آل عمران، الآية ١٤.

٣ ــ سورة الحديد، الآية ١٩.

٤ ــ سورة النازعات، الآية ٤٠، ٤١.

٥ ــ سورة النازعات، الآية ٣٧، ٣٩.

٦ ــ قوت القلوب أبو طالب المكي ص. ٤٩٢ دار صادر، بيروت، لبنان

قال تعالى: ﴿فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ ﴾[1].

قال تعالى: ﴿ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ وَلَنِعْمَ دَارُ الْمُتَّقِينَ ﴾[2].

إن الله تعالى خلق الإنسان ويعرف ميله إلى الشهوات. من أجل ذلك يحذرهم عن الغرق في الحياة الدنيا حتى لا يميل إليها تماماً وينسى ربه.

﴿يا أيها الناس إن وعد الله حق فلا تغرنكم الحياة الدنيا﴾.

إن الله تعالى بين أن إيثار الحياة الدنيا وحبها من صفة الكفار ﴿وويل للكافرين من عذاب شديد الذين يستحبون الحياة الدنيا على الآخرة ﴾[3].

﴿ ذَلِكَ بِأَنَّهُمُ اسْتَحَبُّوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴾[4].

وبعد هذه الآيات التي بينت لنا أن الحياة الدنيا لعب ولهو وأن لها ليست لها قيمة بمقارنة الآخرة وأنها تغر الناس وأن إيثارها على الآخرة من صفة الكفار. وهل هذا يعني أننا نترك الحياة الدنيا مطلقاً ولا نتعامل معها ونعتزل عنها ولا نستفيد مما أخرج الله لنا من الطيبات وإذا كانت الإجابة لاوً كيف نعيش مسلمين في هذه الحياة الدنيا وكيف نتعامل مع كنوزها ومدخراتها دون أن تشغلنا عن الإقبال على الله وعن أداء الرسالة التي خلقنا لأجلها.

﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾[5].

﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾[6].

---

١ ــ سورة التوبة، الآية ٣٨.

٢ــ سورة نحل، الآية ٣٠.

٣ ــ سورة إبراهيم، الآية ٢٣.

٤ ــ سورة النحل، الآية ١٠٧

٥ ــ سورة الزاريات، الآية ٥٦.

٦ ــ سورة بقرة، الآية ٣٠.

## موقف المسلم من حياة الدنيا

إذا قلنا بإختصار إن المسلم يعيش وفق المنهج الذي صوراه للإنسان للحياة والكون؛ فإن الذي يعرف ألفباء الإسلام يدرك أن تصور الإسلام للحياة والكون يقوم أساساً على الإيمان بالله واليوم الآخر[1].

وإذا كان الإيمان بالله يمثل المبدأ الأساسي الذي يبنى عليه المنهج الإسلامي فإن الإيمان باليوم الآخر هو الذي يكمل هذه المبدأ بكونه أهم عناصر الإلزام على مستوى السلوك وكونه كذلك العامل الأكثر فاعلية على إبراز مقتضيات ذلك الإيمان على أرض الواقع[2]. وإذا كان الإيمان بالله يقتضي أن يذكر المؤمن ربه في كل حياته ومعاملاته فاالإيمان بالآخرة يقتضي إيثار الآخرة على الدنيا.

والمسلم لا بد أن لا ينسى أنه مستخلف في الأرض ولكن بشرط إيمانه بالله وقيامه بالأعمال الصالحة كما قال تعالى ﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾.[3]

إن الله استخلفهم في الأرض بإيمانهم بالله ولأعمالهم الصالحات لا لأجل أنهم سعوا في الأرض وراء الحياة الدنيا وجمع ما فيها كما قال صاحب التحرير والتنوير: وجملة (يعبدونني) أي هذا الوعد جرى في حال عبادتهم إياي[4]. والمسلم إذا أنعم الله عليه النعم يستعملها في سبيل طاعته والتقرب إليه، قال تعال﴿ وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ (أي استعمل ما وهبك الله من هذا المال الجزيل والنعمة الطائلة في طاعة ربك والتقرب إليه بأنواع القربات الذي يحصل لك بها الثواب في الدنيا والآخرة)﴿وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا﴾[5].

والله مدح الذين لا تشغلهم الدنيا عن الله تعالى فقال: ﴿رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ﴾ (أي يقدمون طاعته ومراده ومحبته على مرادهم ومحبتهم)[6] ﴿وَإِقَامِ الصَّلَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ﴾[7].

---

١ ــ المسلمون وخريطة العالم الديني المعاصر ، د.دين محمد، ص٥٤. ط١، دار الهاني للطباعة، مصر ٢٠٠٤

٢ ــ المسلمون وخريطة العالم الديني المعاصر ، ص.٥٥

٣ ــ سورة النور-٥٥

٤ ــ التحرير والتنوير، شيخ محمد طاهر ابن عاشور ، ٢٥/١٠ الدار التونسية للنشر، ١٩٨٤

٥ ــ تفسير القرآن العظيم، ٣/م٣٩٩، ط١، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ١٩٨٦

٦ ــ تفسير القرآن العظيم ٣٠٦/٣.

٧ ــ سورة النور، الآية ٣٧.

وحذر من أن تشغل الدنيا وما فيها الإنسان عن ذكر الله كما جاء في قوله تعالى:﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾[1].

جاء في تفسير هذه الآية ﴿عن ذكر الله) أي لا يشغلكم الاغتباط بها عن ذكر أمره ونهيه، ووعده ووعيده أو ذكر ما أنزله . قال القاشاني معنى قوله ﴿لا تلهيكم أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله﴾ إن صدقتم في الإيمان، فإن قضية الإيمان غلبت حب الله على محبة كل شيء، فلا تكن محبتهم ومحبة الدنيا، من شدة التعلق بهم وبالأموال، غلبة في قلوبكم على محبتي، فتحتجبوا بهم عنه فتصير إلى النار[2].

وهذا سر علاقة الإنسان بالدنيا والإنسان المسلم مهما يفعل في الدنيا من الأعمال لا ينسى الله أبداً ولا يطمئن في هذه الحياة الدنيا إلا بذكر الله ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ﴾[3] إن الذي يطمئن بالحياة الدنيا وهو الكافر ﴿ إِنَّ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنُّوا بِهَا وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا غَافِلُونَ﴾[4].

إن الله تعالى سمح للإنسان أن يتعامل بالدنيا ولكن بشرط أن يكون في حالة ذكر الله دائماً قال تعالى: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[5] وأما قوله: ﴿واذكروا الله كثيراً﴾ فهو إحتراس من الانصباب في أشغال الدنيا إنصبابا ينسي ذكر الله[6].

و وحالة عدم الغفلة عن الله لا تتحقق إلا إذا غلب حب الله على محبة كل شيء وهو ما يجعل الإنسان زاهداً في الحياة الدنيا وشهواتها وراغباً في الآخرة وفيما عند الله تعالى حتى لو أخذ من زينة الحياة الدنيا ورزقها.

ولكن هذا ليس بمعنى أننا نجري وراء الدنيا بالحرص وهو مذموم في الإسلام على نحو ما جاء جاء في قوله تعالى:﴿ فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ (٧٩) وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِمَنْ آمَنَ وَعَمِلَ

---

١ ــ سورة المنافقون، الآية ٩.

٢ ــ تفسير القاسمي المسمى بمحاسن التأويل ، محمد جمال الدين القاسمي ١٧٥/٧، ط٢، دار الفكر، بيروت، لبنان، ١٩٧٨

٣ ــ سورة الرعد ٢٨

٤ ــ سورة يونس، الآية ٧.

٥ ــ سورة جمعة، الآية ١٠.

٦ ــ تفسير التحرير والتنوير ٢٢/٢٨.

صَالِحًا وَلَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الصَّابِرُونَ﴾[1]. وجاء في تفسير هذه الآية إن الغبطة وإن كانت غير الحسد وهي في نفسها جائز إلا أنها إذا كانت الحرص على حطام الدنيا كانت مذمومة، كما هنا، فإنهم تمنوا حصول الأموال والكنوز مثل ما حصل لقارون مع أنها كانت أزيد من حوائجهم، وهو الحرص المذموم. وأشار سبحانه وتعالى إلى مذمة ما تمنوه بقوله: ﴿الذين يريدون الحياة الدنيا﴾ فإن إرادة الحياة الدنيا فقط مع الإعرض عن الآخرة ليست من شأن المؤمن، فهؤلاء الذين تمنوا ذلك وإن كانوا مؤمنين كما يدل عليه سياق الآية بعده، ولكنهم لحرصهم على الفضول استحقوا المذمة[2].

---

١ ـــ سورة القصص، ٧٩، ٨٠

٢ ـــ أحكام القرآن ظفر احمد عثمان ١٢٦/٣.ط١، ادارة القرآن و العلوم الاسلامية، كراتشى ١٩٨٧

## موقف المسلم في حال الامتحان والفتنة بالدنيا

الذي ذكرنا حتى الآن هو موقف المسلم في الحياة العادية وفيها توازن يأخذ من الدنيا نصيبا ولا ينسى ذكر الله. ولكن قد يأتي زمان الفتنة والامتحان وهذا الامتحان يقتضي منه أن يختار إما الدنيا وإما الآخرة. ولا يستطيع أن يجمع بينهما وفي هذه الحالة ماذا يلزم على المسلم؟

وفي الحقيقة يظهر موقف المسلم في هذه الحالة الصعبة التي تضع أمامه مسألة الحياة والممات خاصة في هذا العصر الذي كثرت فيها مغريات الحياة الدنيا ولا يترك للإنسان مجال إلا فيه تناقض بين الدنيا والآخرة ويجبره أن يختار واحدة منهما . وربما هذه هي الفتنة التي جعلت للأمة الإسلامية كما جاء في الحديث: لكل أمة فتنة وفتنة أمتي المال.[1] هل نستطيع أن نقول في مثل هذه الحالات كما قال شيخ الإسلام مصطفى صبري وهو يقول جواباً على الدعوات التي تطلب من المسلمين أن يتركوا دينهم لكي يصلوا إلى ما وصل إليه الغرب من الرفاهية والترفه في الدنيا:" وأنا رغم أنني من الذين يريدون أن يصل المسلمون إلى حياة سعيدة في الدنيا من صميم قلبي إلا أنني ألعن على هذه الدنيا التي نحصل عليها بترك ديننا وإذا ارتفعنا إلى هذه الدنيا لا بد للإسلام أن يكون فوق رأسنا في مكانته المحترمة"[2].

وفي موقف زوجات النبي صلى الله عليه وسلم نرى هذا الموقف الصريح أيضاً، إن الله خير أزواج النبي صلى الله عليه وسلم بين الدنيا والآخرة لما ظهر منهن إقبالاً على الدنيا طلب القرآن منهن إما أن يفارقن على أن يمنحن من متاع الحياة الدنيا ما طلبن وإما أن لا يلازمنه ويخترنه لوجه الله مؤثرات ذلك على زينة الحياة الدنيا وكان قرار الزوجات الحاسم إلى جانب الله ورسوله أو إلى جانب الدين﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ إِنْ كُنْتُنَّ تُرِدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا وَإِنْ كُنْتُنَّ تُرِدْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالدَّارَ الْآخِرَةَ فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنْكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا﴾[3].

ويقول د.كمال جعفر تعليقا علىهذا الموقف "نعتقد أن شخصية زوجات النبي صلى الله عليه وسلم لم تتبلور في وضوح واكتمال إلا بعد هذا الموقف[4].

ليس فقط زوجات الرسول صلى الله عليه وسلم بل أصحابه أيضاً لما تثاقلوا في أمر من أوامر الله تعالى وصف الله عملهم بالرضا بالحياة الدنيا وهددهم تهديداً قال تعالى:﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ

---

١ ــ أخرجه الترمذي في سننه ــ ٥٦٩/٤ رقم ٢٣٣٦ و قال حديث حسن صحيح.

2- Ilahi Adalet s.249 Pinar Yayinlari,Istanbul

٣ ــ سورة الأحزاب، الآية ٢٨-٢٩

٤ ــ التصوف طريقاً وتجربة ومذهباً، د. كمال جعفر ص ١٠٩ــ١١٠، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية، مصر، ١٩٨٥

إِذَا قِيلَ لَكُمُ انْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ أَرَضِيتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ إِلَّا تَنْفِرُوا يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْئًا وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[1]

وكان التهديد عظيما. نعم إن الإنسان خليفة الله في الأرض ولكن ليس بمعنى أن له حكما مستقلا ويعمل كما يشاء. بل هو خليفة الله ومطالب بتنفيذ أوامر الله في الأرض.

وخلاصة القول أن الحياة الدنيا لعب ولهو وأن الإسلام لم يذم الدنيا مطلقاً وإنما المذموم منها ما شغلك عن مولاك ومنعك من الاستعداد لأخراك.[2] لكن الإسلام آثر الآخرة على الدنيا مطلقاً. كما جاء في جامع العلوم والحكم. قال ابن رجب الحنبلي "والصواب إطلاق ما جاءت به نصوص الكتاب والسنة أن الآخرة خير من الأولى مطلقاً." وهذا لا يعني ترك المسلم الحياة الدنيا ولكن يعني إذا حصل التعارض أن يآثر الآخرة على الدنيا.

وفي نهاية بحثنا نشير إلى نقطة أخرى وهي أن القرآن ذم ثلاث حالات وإعتبرها الرضى بالحياة الدنيا وإرادتها.

أ- حالة الكفر ﴿إِنَّ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنُّوا بِهَا وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا غَافِلُونَ﴾[3]

ب- حالة المخالفة في أوامر الله ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ انْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ أَرَضِيتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ﴾[4]

ت- حالة عدم الرضى بما رضى الله ورسوله. جاء في حق الزوجات النبي صلى الله عليه وسلم لما طلبن زيادة في أموال الدنيا. ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ إِنْ كُنْتُنَّ تُرِدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا وَإِنْ كُنْتُنَّ تُرِدْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالدَّارَ الْآخِرَةَ فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنْكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا﴾[5]

---

١ ــ سورة التوبة-٣٨

٢ ــ التنوير في اسقاط التدبير، ابن عطاء الله السكندري، ص٤٧، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٩٩٨

٣ ــ سورة يونس، ٧

٤ ــ سورة التوبة، ٣٨

٥ ــ سورة الأحزاب، ٢٨،٢٩

## الزهد في حياة النبي صلى الله عليه وسلم

إن الله تعالى أرسل رسولنا محمدا صلى الله عليه وسلم لكي يبين لنا ما جاء في القرآن ﴿وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس مانزل إليهم﴾.[1]

وعاش الرسول صلى الله عليه وسلم ما جاء في القرآن كما قالت عائشة رضي الله عنها "كان خلقه القرآن"[2]. وهو كان أعرف الخلق بالدنيا ومقدارها[3].

وبناء على ذلك كان رسول الله صلى الله عليه وسلم سيد الزهاد في الدنيا من أجل ذلك لا بد أن ننزل إلى حياة الرسول وأقواله حتى يتبين لنا مفهوم الزهد. والأخبار عن زهد النبي صلى الله عليه وسلم في عيشه كثيرة جدا، تحفل بها كل كتب السيرة، كما تحفل بها كتب الحديث[4].
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في قيمة الدنيا عند الله تعالى ( لَوْ كَانَتْ الدُّنْيَا تَعْدِلُ عِنْدَ اللَّهِ جَنَاحَ بَعُوضَةٍ مَا سَقَى كَافِرًا مِنْهَا شَرْبَةَ مَاءٍ)[5]. في هذا الحديث جناح بعوضة مثل عن القلة والحقارة فمن حقارتها عنده لا يعطيها لأوليائه كما أشار إليه الحديث إن الله تعالى ليحمي عبده المؤمن الدنيا وهو يحبه كما تحمون مريضكم الطعام والشراب تخافون عليه كذا [6].

عن المستورد بن شداد قال كنت مع الركب الذين وقفوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم على السخلة الميتة، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ( أترون هذه هانت على أهلها حين ألقوها قالوا من هوانها ألقوها يا رسول الله قال فالدنيا أهون على الله من هذه على أهلها) [7]
فهمنا أن الدنيا ليست لها قيمة عند الله تعالى ولكن هل كل شيء في الدنيا ليس له قيمة؟ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ( إِنَّ الدُّنْيَا مَلْعُونَةٌ مَلْعُونٌ مَا فِيهَا إِلَّا ذِكْرُ اللَّهِ وَمَا وَالَاهُ وَعَالِمٌ أَوْ مُتَعَلِّمٌ) [8]

جاء في شرح الحديث (إن الدنيا ملعونة) أي مبغوضة عند الله لكونها مبعدة عن الله (ملعون ما فيها) أي مما يشغل عن الله (إلا ذكر الله وما والاه) أي ما أحبه الله من أعمال البر وأفعال القرب، أو

---

١ ــ النحل، ٤٤

٢ ــ مسند الإمام أحمد: ١٦٣/٦، قال الشيخ شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح على شرط الشيخين

٣ ــ أخلاق النبي صلى الله عليه وسلّم في القرآن والسنة، د. أحمد الحداد ص٥٠٥، ط١، دار الغرب الاسلامي، ١٩٩٦

٤ ــ المقامات والأحوال، د. محمد مصطفى، ص٧١، دار الطباعة المحمدية، ١٩٨٨

٥ ــ سنن الترمذي: أبواب الزهد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، باب ما جاء في هوان الدنيا على الله، رقم الحديث: ٢٣٢٠. صححه الإمام الترمذي .

٦ ــ المستدرك: ٢٣١/٤، صححه الإمام الحاكم، ووفقه الحافظ الذهبي.

٧- سنن الترمذي: أبواب الزهد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، باب ما جاء في هوان الدنيا على الله ، رقم الحديث: ٢٣٢١. حسنه الإمام الترمذي.

٨ - سنن الترمذي: أبواب الزهد عن رسول الله ﷺ، باب منه، رقم الحديث: ٢٣٢٢. وحسنه الإمام الترمذي .

معناه ما والى ذكر الله أي قاربه من ذكر خير أو تابعه من أتباع أمره ونهيه لأن ذكره يوجب ذلك. قال المظهر أي ما يحب الله في الدنيا والموالاة المحبة بين اثنين وقد تكون من واحد وهو المراد هنا يعني ملعون ما في الدنيا إلا ذكر الله وما أحبه الله مما يجري في الدنيا وما سواه ملعون. قال المناوي: الدنيا ملعونة لأنها غرت النفوس بزهرتها ولذتها فأمالتها عن العبودية على الهوى، فاللعن وقع على ما غر من الدنيا لا على نعيمها ولذتها فإن ذلك تناوله الرسل والأنبياء[1].

وهنا ظهر لنا أن ليس كل شيء مكروه ومبغوض في الدنيا بل المبغوض ما منع عن ذكر الله وعبوديته والمطلوب منه ليس ترك الدنيا كلياً بل إذا أخذنا منه شيئاً ننفقه في حقه كما روي عن عمر رضي الله عنه: اللهم إنا لا نستطيع إلا أن نفرح بما زينته، اللهم إني أسألك أن أنفقه في حقه[2].

حذر الرسول عن فتنة المال لما يؤدي إليه قال: (إِنَّ لِكُلِّ أُمَّةٍ فِتْنَةً وَفِتْنَةُ أُمَّتِي الْمَالُ)[3]. وقال: (وَإِنِّي أُعْطِيتُ مَفَاتِيحَ خَزَائِنِ الْأَرْضِ أَوْ مَفَاتِيحَ الْأَرْضِ وَإِنِّي وَاللَّهِ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمْ أَنْ تُشْرِكُوا بَعْدِي وَلَكِنْ أَخَافُ عَلَيْكُمْ أَنْ تَنَافَسُوا فِيهَا )[4]. وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم (إِنَّ أَكْثَرَ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمْ مَا يُخْرِجُ اللَّهُ لَكُمْ مِنْ بَرَكَاتِ الْأَرْضِ قِيلَ وَمَا بَرَكَاتُ الْأَرْضِ قَالَ زَهْرَةُ الدُّنْيَا فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ هَلْ يَأْتِي الْخَيْرُ بِالشَّرِّ فَصَمَتَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى ظَنَنَّا أَنَّهُ يُنْزَلُ عَلَيْهِ ثُمَّ جَعَلَ يَمْسَحُ عَنْ جَبِينِهِ فَقَالَ أَيْنَ السَّائِلُ قَالَ أَنَا قَالَ أَبُو سَعِيدٍ لَقَدْ حَمِدْنَاهُ حِينَ طَلَعَ ذَلِكَ قَالَ لَا يَأْتِي الْخَيْرُ إِلَّا بِالْخَيْرِ إِنَّ هَذَا الْمَالَ خَضِرَةٌ حُلْوَةٌ وَإِنَّ كُلَّ مَا أَنْبَتَ الرَّبِيعُ يَقْتُلُ حَبَطًا أَوْ يُلِمُّ إِلَّا آكِلَةَ الْخَضِرَةِ أَكَلَتْ حَتَّى إِذَا امْتَدَّتْ خَاصِرَتَاهَا اسْتَقْبَلَتْ الشَّمْسَ فَاجْتَرَّتْ وَثَلَطَتْ وَبَالَتْ ثُمَّ عَادَتْ فَأَكَلَتْ وَإِنَّ هَذَا الْمَالَ حُلْوَةٌ مَنْ أَخَذَهُ بِحَقِّهِ وَوَضَعَهُ فِي حَقِّهِ فَنِعْمَ الْمَعُونَةُ هُوَ وَمَنْ أَخَذَهُ بِغَيْرِ حَقِّهِ كَانَ كَالَّذِي يَأْكُلُ وَلَا يَشْبَعُ)[5].

المال ليس محذوراً لعينه بل لكونه قد يعوق عن الله وكذا العكس. وكم من غني لم يشغله غناه عن الله وكم من فقير شغله فقره عن الله[6].

جاء في شرح الحديث (ما يسرني أن عندي مثل أحد هذا ذهباً..)[7] أن نفي محبة المال مقيدة بعدم إنفاق فيلزم محبة وجوده مع الإنفاق فمادام الإنفاق مستمراً لا يكره وجود المال، وإذا انتفى الإنفاق تثبت كراهية وجود المال، ولا يلزم من ذلك كراهية حصول شيء آخر ولو كان قدر أحد أو أكثر مع

---

١ ــ تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي ٦١٢/٦، رقم الحديث ٢٤٢٤، ملخص من شرح الحديث.

٢ ــ فتح الباري بشرح صحيح البخاري، ابن حجر العسقلاني، ٣٨/٢٤،

٣ ــ سنن الترمذي: أبواب الزهد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، باب ما جاء أن فتنة هذه الأمة في المال، رقم الحديث: ٢٣٣٦، وصححه الإمام الترمذي.

٤- صحيح البخاري: كتاب الرقاق، باب في الحوض، رقم الحديث: ٦٥٩٠.

٥- صحيح البخاري: كتاب الرقاق، باب ما يحذر من زهرة الدنيا والتنافس فيها، رقم الحيث: ٦٤٢٧.

٦ ــ فتح الباري بشرح صحيح البخاري ٥٧/٢٤.

٧- صحيح البخاري: كتاب الرقاق، باب قول النبي صلى الله عليه وسلم، من أحب أن لي مثل أحد ذهبا، رقم الحديث: ٦٤٤٤.

استمرار الإنفاق[1]. في الحقيقة الإنفاق من ثمرة الزهد كيف ينفق من عنده رغبة في الدنيا كما قال الإمام الغزالي: البخل ثمرة الرغبة في الدنيا والسخاء ثمرة الزهد[2]. وإذا لم يكن في الدنيا هذه الأعمال التي يحبها الله مثل ذكر الله والانفاق في سبيل الله في هذه الحالة تكون الدنيا رأس كل خطيئة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (حب الدنيا رأس كل خطيئة) [3]

ولكن الحقيقة أن الذين أخذوا الدنيا والمال ووضعوا في حقه قليلون جداً كما قال الرسول صلى الله عليه وسلم (إن المكثرين هم المقلون يوم القيامة إلا من قال هكذا وهكذا وهكذا عن يمينه وعن شماله ومن خلفه وقليل ما هم) [4]. والمراد الإكثار من المال والإقلال من ثواب الآخرة[5]. ولما كان خطاب الشرع مع الكل لا مع ذلك النادر زجر الشرع عن الغنى وذمه[6].

لأجل قلة من أخذ المال ونجى وكثرة من أخذ وهلك رغم أن ليس في قلبه سوى الله تعالى سوى من حب الله تعالى أظهر الفرار والنفار نزولاً إلى درجة الضعفاء ليقتدوا به في الترك إذ لو اقتدوا به في الأخذ لهلكوا[7] الله أعلم. أنه لم يترك الدنيا خوفاً من فتنتها بل اختياراً لطيبات الحياة الدائمة[8].

الرسول صلى الله عليه وسلم في حياته ترك الدنيا وزهد فيها وحث أهل بيته على هذا الترك إذ لما طلبت بعض أزواج النبي جاء التحذير من الله تعالى ﴿يا أيها النبي قل لأزواجك إن كنتن تردن الحياة الدنيا وزينتها فتعالين أمتعكن وأسرحكن سراحاً جميلا﴾[9].

قالت عائشة رضي الله عنها عن حياة الرسول صلى الله عليه وسلم وعن أهل بيته (مَا شَبِعَ آلُ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُنْذُ قَدِمَ الْمَدِينَةَ مِنْ طَعَامِ بُرٍّ ثَلَاثَ لَيَالٍ تِبَاعًا حَتَّى قُبِضَ ) [10]

وقالت (كَانَ فِرَاشُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ أَدَمٍ وَحَشْوُهُ مِنْ لِيفٍ) [1].

---

١ ــ فتح الباري بشرح صحيح البخاري ٤٥/٢٤

٢ ــ إحياء علوم الدين أبو حامد الغزالي، ٢٢١/٤، دار المعرفة، بيروت لبنان

٣- رواه البيهقي في الشعب عن الحسن مرسلا، ٥٨/٢، رقم الحديث: ١٠١١١، ( صحيح الجامع الصغير: ٦٤٣/١، رقم الحديث: ٦٤٢٨ )

٤- صحيح البخاري: كتاب الرقاق، باب المكثرون هم المقلون، رقم الحديث: ٦٤٤٣.

٥ ــ فتح الباري ٤٦/٢٤.

٦ ــ إحياء علوم الدين ٢٥٣/٤.

٧ ــ إحياء علوم الدين ١٩٣/٤.

٨ ــ فتح الباري ٦٣/٢٤.

٩ - الأحزاب ٢٧

١٠- صحيح البخاري: كتاب الرقاق، باب كَيْفَ كَانَ عَيْشُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَصْحَابِهِ وَتَخَلِّيهِمْ مِنْ الدُّنْيَا، رقم الحديث: ٦٤٥٤.

وقالت (كَانَ يَأْتِي عَلَيْنَا الشَّهْرُ مَا نُوقِدُ فِيهِ نَارًا إِنَّمَا هُوَ التَّمْرُ وَالمَاءُ إِلَّا أَنْ نُؤْتَى بِاللُّحَيْمِ) [1].

والرسول صلى الله عليه وسلم لم يُرد رزقاً أكثر من الضرورة كما روي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (اللَّهُمَّ ارْزُقْ آلَ مُحَمَّدٍ قُوتًا) [2]. أي اكفيهم من القوت بما لا يرهقهم إلا ذل المسألة ولا يكون فيه فضول تبعث على الترفه والتبسط في الدنيا وفيه حجة لمن فضل الكفاف لأنه إنما يدعو لنفسه وآله بأفضل الأحوال [4]. وكيف يطلب أكثر من هذا وهو القائل (مِنْ حُسْنِ إِسْلَامِ المَرْءِ تَرْكُهُ مَا لَا يَعْنِيهِ) [5]. قال القارئ في شرح هذا: وحقيقة ما لا يعنيه ما لا يحتاج إليه في ضرورة دينه ودنياه ولا ينفعه في مرضاة مولاه بأن يكون عيشه بدونه ممكناً [6].

ولما جاء الرسول صلى الله عليه وسلم إلى بيت ابنته فاطمة رضي الله عنها فوجد على بابها ستراً فلم يدخل فقال (وَمَا أَنَا وَالدُّنْيَا وَمَا أَنَا وَالرُّقْمُ) [7]. ومرة عند ما طلبت فاطمة رضي الله عنها خادما قال لها (ألا أدلك على ما هو خير لك من خادم؟ تسبحين الله ثلاثاً وثلاثين، وتحمدين ثلاثاً وثلاثين، وتكبرين أربعاً وثلاثين حين تأخذين مضجعك) [8].

زهد النبي صلى الله عليه وسلم كان اختيارياً فقد عرض عليه أن تكون بطحاء مكة له ذهباً فأبى [9]. وقال (لَا يَا رَبِّ وَلَكِنْ أَشْبَعُ يَوْمًا وَأَجُوعُ يَوْمًا وَقَالَ ثَلَاثًا أَوْ نَحْوَ هَذَا فَإِذَا جُعْتُ تَضَرَّعْتُ إِلَيْكَ وَذَكَرْتُكَ وَإِذَا شَبِعْتُ شَكَرْتُكَ وَحَمِدْتُكَ ) [10].

وهو لم يكتف بالزهد في الدنيا وأخذ القليل منها وحث أهل بيته على هذا بل حث أمته على الزهد في الدنيا. جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم وقال يا رسول الله دلني على عمل يحبني الله

---

١- صحيح البخاري، كتاب الرقاق ، باب كَيْفَ كَانَ عَيْشُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَصْحَابِهِ وَتَخَلِّيهِمْ مِنْ الدُّنْيَا ، رقم الحديث: ٦٤٥٦.

٢- السابق: كتاب الرقاق: باب كَيْفَ كَانَ عَيْشُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَصْحَابِهِ وَتَخَلِّيهِمْ مِنْ الدُّنْيَا، رقم الحديث: ٦٤٥٨.

٣- السابق: رقم الحديث: ٦٤٦٠.

٤ ـــ فتح الباري ٢٤/٥٧.

٥-سنن الترمذي: أبواب الزهد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، باب فيمن تكلم بكلمة يضحك بها الناس، رقم الحديث: ٢٣١٨.

٦ - تحفة الأحوذي محمد عبدالرحمان المباركفوري ٦٠٧/٦، ط٣، دار الفكر ١٩٧٩.

٧- سنن أبي داود: كتاب اللباس، باب في إتخاذ الستور، رقم الحديث: ٤١٤٩.

٨ - مسلم رقم الحديث: ٢٧٢٨

٩ - أخلاق النبي صلى الله عليه وسلّم في القرآن والسنة، د. أحمد الحداد، ص٥٠٦.

١٠-سنن الترمذي: أبواب الزهد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، باب ما جاء في الكفاف والصبر عليه، رقم الحديث: ٣٩٨٠ . وحسنه الإمام الترمذي .

عزّوجل عليه، ويحبني الناس عليه قال (أما العمل الذي يحبك الله عزّوجل عليه تزهد في الدنيا، وأما العمل الذي يحبك الناس عليه فانبذ إليهم ما في يدك من الحطام)[1].

وهنا جعل الرسول صلى الله عليه وسلم الزهد سبب محبة الله لعباده وإذا أحب الله عبده يكون مع عبده في كل حاله كما جاء في الحديث (فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا وَإِنْ سَأَلَنِي لَأُعْطِيَنَّهُ وَلَئِنْ اسْتَعَاذَنِي لَأُعِيذَنَّهُ وَمَا تَرَدَّدْتُ عَنْ شَيْءٍ أَنَا فَاعِلُهُ تَرَدُّدِي عَنْ نَفْسِ الْمُؤْمِنِ يَكْرَهُ الْمَوْتَ وَأَنَا أَكْرَهُ مَسَاءَتَهُ)[2]، وهذا ما يريد الزهاد أن يصلوا إليه بزهدهم في الدنيا.

---

١- كتاب الزهد لابن أبي الدنيا حديث رقم ١١٨، دار بن كثير القرشي، بيروت، لبنان، ١٩٩٩

٢- صحيح البخاري: كتاب الرقاق، باب التواضع، رقم الحديث: ٦٥٠٢.

## الزهد في حياة الصحابة

الحياة الزهدية لم تكن منحصرة في حياة النبي صلى الله عليه وسلم فقط بل كانت آثارها ومظاهرها ممتدة في حياة أصحابه الكرام أيضاً وخاصة خلفاءه الراشدين. في علاقتهم بالدنيا وشهواتها وملذاتها كانوا يتأسون بالرسول صلى الله عليه وسلم ولم يتغير حالهم كثيراً بعدما وصلوا إلى ما وصلوا إليه من الدنيا ونعيمها. رغم أننا نرى في أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم من كانوا يمسكون المال في أيديهم ولكن يخرجون في سبيل الله إذا جاء وقت الإنفاق ولا يبخلون في الدنيا أبداً. والخلفاء الراشدون أخذوا من الدنيا ما لا يزيد على حد الكفاية يكفيهم وتركوا الباقي وعاشوا على ما عاش عليه النبي صلى الله عليه وسلم من ترك الدنيا وزينتها.

### زهد أبي بكر رضي الله عنه:

هناك روايات كثيرة في زهد أبي بكر رضي الله عنه وهو أوصى بأخذ البلاغ من الدنيا لما طالب منه سلمان الوصية. فقال: يا خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم أوصيني فقال له أبو بكر رضي الله عنه: إن الله عزّوجل فاتح عليكم الدنيا فلا تأخذوا منها إلا بلاغكم(أى الكفاية)[1]. وأبو بكر رضى الله عنه لما توفي لم يترك شيئاً. قالت عائشة رضي الله عنها: مات أبو بكر فما ترك ديناراً ولا درهماً وكان قد أخذ قبل ذلك ماله فألقاه في بيت المال[2].

قال معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه: إن الدنيا لم ترد أبو بكر ولم يردها وأرادت ابن الخطاب ولم يردها[3].

### زهد عمر رضي الله عنه:

عن الحسن قال: مر عمر على مزبلة فاحتبس عندها فكأنه شق على أصحابه وتأذوا بها فقال لهم هذه دنياكم التي تحرصون عليها[4].

عن الحسن: أن عمر أوتي بشربة من عسل فذاقها فإذا ماء وعسل فقال اعزلوا عني حسابها اعزلوا عني مؤنتها[5].

---

١- كتاب الزهد الإمام أحمد بن حنبل ص١٣٧، دار الريان للتراث، القاهرة، مصر، ١٩٨٧

٢- السابق ص١٣٨.

٣- السابق ص١٣٩.

٤- السابق ص١٤٧.

٥- السابق ص١٤٩.

وكان يقول: سلوا الله رزق يوم بيوم ولا يضركم ألا يكثر لكم. وكان يحث على الزهد. كتب إلى أبي موسى وقال: إنك لم تنل عمل الآخرة بشيء أفضل من الزهد في الدنيا[1].

مر جابر بن عبد الله مطقاً لحماً على عمر رضي الله عنه فقال ما هذا يا جابر؟ قال هذا لحم اشتريته اشتهيته. قال أو كلما اشتهيت شيئاً اشتريته، أما تخشى أن تكون من أهل هذه الآية (أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا)[2]، [3].

وهو كان يلبس لباساً مرقعاً وكان فيه اثنى عشر رقعة[4].

**زهد عثمان رضي الله عنه:**

عثمان رضي الله عنه كان يقيل في المسجد وهو يومئذ خليفة ويقوم وأثر الحصباء في جنبه[5].

وهو كان يطعم الناس طعام العمارة ويدخل إلى بيته فيأكل الخل والزيت[6].

**زهد علي رضي الله عنه:**

عن يزيد بن محجن: قال كنا مع علي ﷺ بالرهبة فدعا بسيف فسله فقال من يشتري هذا فوالله لو كان عندي ثمن إزار ما بعته[7].

عن حبة عن علي أنه أوتي بالفالوزج فوضع قدماه فقال إنك لطيب الريح حسن اللون طيب الطعام ولكن أكره أن أعود نفسي ما لم تعتده[8].

ولما عاتبه أحد الناس بسبب لباسه قال ما لك وللبوسي إن لبوس هذا أبعد من الكبر وأجدر أن يقتدي بي المسلم[9].

هناك كثير من الصحابة أيضاً كانوا يعيشون في الدنيا عيشة الزاهد. وسنذكر مجموعة منهم في مبحث المدارس الزهدية إن شاء الله.

---

١- كتاب الزهد ص١٥٢.

٢- سورة الأحقاف ٢٠

٣- كتاب الزهد ص١٥٣.

٤- السابق ص١٥٤.

٥ - السابق ص١٥٨.

٦- السابق ص١٦٠.

٧- السابق ص١٦٤.

٨- السابق ص١٦٥.

٩- السابق ص١٦٥.

ولكن قبل أن نغلق هذا المبحث أود أن أبين ما يقال حول بعض الصحابة أنهم كانوا أغنياء وإذا كانوا أغنياء كيف يصح زهدهم؟

صحيح أن من الصحابة من كان من الأغنياء. لكن هذا لم يكن مضرا لزهدهم لأن هؤلاء كما ذكرنا من قبل رغم إمساكهم المال في يدهم، لم تدخل الدنيا إلى قلوبهم وإذا جاء وقت الإنفاق في حق الله وفي حق المسلمين لم يبخلوا في الإنفاق. مثلاً عبد الرحمن بن عوف كان أكثر ما يتكلم حول غناه (ولذا كان يجهز به الجيوش والغزوات) ولكن هو بنفسه كان حذراً عن هذا المال وكان يخاف من المحاسبة عليه.

أخرج البخاري عن سعد بن إبراهيم عن أبيه أن عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه أوتي بطعام وكان صائماً، فقال: قتل مصعب بن عمير وهو خير مني، كفن في بردة إن غطي رأسه بدت رجلاه، وإن غطي رجلاه بدا رأسه وأراه قال: وقتل حمزة وهو خير مني، ثم بسط لنا ما بسط أو قال: أعطينا من الدنيا ما أعطينا، وقد خشينا أن تكون حسناتنا قد أجلت لنا. ثم جعل يبكي حتى ترك الطعام[1].

وأخرج البزار عن أم سلمة رضي الله عنها أن عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه دخل عليها فقال: يا أمه، قد خفت أن يهلكني مالي، أنا أكثر قريش مالاً، قالت: يا بني فانفق، فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: إن من أصحابي من لا يراني بعد أن أفارقه[2].

---

١- البخاري ص٥٧٩.

٢- حياة الصحابة، الشيخ محمد يوسف الكاندهلوي ٢/٢٦٥، ط٤، دار القلم، دمشق، ١٩٨٦

## المبحث الثاني: المدارس الزهدية

### مدارس الزهد

بعد ما توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم انتقلت الحياة الزهدية التي تبينت في القرآن وعاشها الرسول صلى الله عليه وسلم من بين ميراث النبي صلى الله عليه وسلم الدينية والأخلاقية إلى الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين، ومنهم إلى التابعين. وتمثل هذا الزهد في حياتهم في التقلل في الطعام والشراب واللباس وظهر في كثرة العبادة؛ إذ هناك علاقة وثيقة بين العبادة والزهد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (قَدْ أَفْلَحَ المُزْهِدُ المُجْهِدُ ثَلاثًا المُزْهِدُ فِي العَيْشِ المُجْهِدُ فِي العِبَادَةِ)[1].

العبادة لكونها روح الزهد[2] وهي بأشكالها المتعددة نراها عند الزهاد مثل قراءة القرآن وتدبره وقيام الليل وصوم النهار والانفاق في سبيل الله. ولا عجب في هذا لأن من يترك الدنيا وشهواتها ويرغب في الآخر لا بد أن يقبل على الله وأحسن ما يظهر إقبال العبد على الله هو العبادات. فنشأت في الأقطار الإسلامية مدارس العبادة أو مدارس الزهد[3] ولكن هنا كلمة المدرسة لا تعني ظهور مدارس زهدية مختلفة الأصول والغايات والمناهج التي تفرق أي مدرسة عن أخرى؛ بل كل هذه المدارس كانت تعتمد على أصل واحد وغايتها واحدة والزهد في الحقيقة صفة نفسية[4] وهو من عمل القلوب وليس من عمل الجوارح[5]. كما قال الأستاذ الدكتور حسن الشافعي: نعم أن هناك فروقاً لا تنكر بين الزهاد وأتباع كل منهم من المدائن والأقطار المذكورة، بحكم تنوع التجربة الروحية في حد ذاتها، وتأثير الظروف المحلية وغيرها، ولكن هذا لا يرقي إلى حد اعتباره مدارس متمايزة لما يشعر به هذا اللفظ من استقرار مبادئ وتقاليد معينة، تلتزم في كل مدرسة منها وتجري عليها الطبقات والأجيال المتعاقبة ونحسب أن الظاهرة الزهدية ذلك الحين كانت من البساطة، بحيث لا يمكن التميز بين رجالها في المدائن المختلفة إلى الحد المذكوركما هو الحال مثلا في المدارس النحوية بين البصرة والكوفة التى تحددت ونضجت في هذه الفترة، أو هو الحال في المدارس الفقهية بين الكوفيين من أهل الرأى، ومخالفيهم في المدينة وغيرها[6].

---

١- مسند الإمام أحمد: ٣٤/٥، ضعفه الشيخ شعيب الأرنؤوط.

٢- نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام، د. علي سامي النشار ١٠١/٣، ط٨، دار المعارف، القارة، مصر

٣- السابق ص١٠٢.

٤- الموسوعة الفكهية الميسرة ١٠٢٦/٢.

٥- من قضايا التصوف في ضوء الكتاب والسنة، د. محمد سيد الجليند ص ٤٨، ط١، مكتبة الزهراء، القاهرة، مصر

٦- فصول في التصوف، د.حسن الشافعي ص١٠٠، دار الثقافة للنشر و التوزيع، ١٩٩١

وهذه العبادات من مظاهر الزهد الذي هو موجود في القلب، والمظاهر تختلف من شخص إلى شخص كل يعمل حسب علمه ومعرفته وطاقته قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (خُذُوا مِنْ الْأَعْمَالِ مَا تُطِيقُونَ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَمَلُّ حَتَّى تَمَلُّوا وَإِنَّ أَحَبَّ الْأَعْمَالِ إِلَى اللَّهِ مَا دَامَ وَإِنْ قَلَّ)[1].

في وقت ظهور المدارس الزهدية قد لا نجد اسم الزهاد متداولا بين الناس. الذين يعتبرون من الزهاد في هذا الوقت سموا بأسماء مختلفة مثل العباد والقراء والنساك ولكن كل هذه الكلمات تحوي معنى الزهد في الدني وشهوات النفس[2]. وهي أسماء إن اختلفت في ظاهرها إلا أنها تدل جميعاً على معنى واحد، هي شدة العناية بأمر الدين، وقلة الإقبال على الدنيا، وكثرة الذكر لله، ودوام التفكير فيه والركون إليه، والتوكل عليه[3] بعد ما كان الزهد صفة عامة بين المسلمين الدنيا أقبلت عليهم في ذلك الوقت[4]. واشتهر الذين يتقللون من الدنيا ويهتمون بالعبادات بهذه الأسماء المختلفة ولا مشاحة في الاصطلاح إذا كان المعنى واحداً.

ونقطة أخرى في بحث المدارس أن بعض الباحثين اهتموا بمظهر الزهد وقسموا الزهد بين زهد الخوف وزهد المحبة. والفرق في هذا قد يرجع إلى طبيعة الإنسان الذى يخاطبه الوحى. كل واحد يتأثر من النصوص بطريقة نفسية مختلفة عن غيره. وفى النهاية كله يرجع إلى الوحى. ألذين خافوا، خافو لأجل أن الله أمرهم بخوفه وخشيته والذين أحبوا، أحبوا لأجل أن الله أمرهم بمحبته.وهذا لا يعنى أن من أظهر حبه أو خوفه خال عن الشعور الآخر. مثلا رابعة العدوية التى تعتبر قائد المحبة لما تسمع آياة العذاب كان يغشى عليها حينما تسمع آية من آيات العذاب كما سنرى في موقعها.

وسنذكر هنا كثير من الصحابة الذين عاشوا حياة زهدية وأثروا على إنتشار الزهد في الأمصار التى إنتشرت فيها الإسلام.من أجل ذلك نقلت الزهد في حياة السلف إلى هذا المبحث من المبحث الأول حتى يظهر واضحا علاقة الزهد في المدارس أو في الأمصار الإسلامية بحياة السلف.

---

١- صحيح البخاري: كتاب اللباس، باب الجلوس على الحصير ونحوه، رقم الحديث: ٥٨٦٢.

٢- نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام، د. علي سامي النشار،ط٩، ٦٢/٣. دار المعارف،القاهرة

٣- الحياة الروحية في الإسلام ص٨٤، ط٢، الهيئة المصرية العامة للكتاب

٤- السابق ص٦٤.

## مدرسة المدينة

مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم كانت مقر أول الزهاد. المدينة بعدما توفي صلى الله عليه وسلم استمر مركزاً للمسلمين ومقراً للخلفاء الراشدين الثلاثة الأولى. وحتى بعد مقتل عثمان رضي الله عنه أصبحت المدينة بعيدة عن الفتن وظهور الأفكار والاتجاهات الغريبة[1]. وفي المدينة ظهر زهاد كثيرون منذ وقت مبكر يتمسكون بالقرآن والسنة وجعلوا الرسول صلى الله عليه وسلم قدوة في زهدهم. ومن هؤلاء أبو عبيدة بن الجراح المتوفى سنة ١٨ وأبو ذر الغفاري المتوفى سنة ٢٢ وسلمان الفارسي المتوفى سنة ٣٢ وعبد الله بن مسعود المتوفى سنة٣٣ وحذيفة ابن اليمان المتوفى سنة ٣٦ من الصحابة وسعيد بن المسيب المتوفى سنة ٩١ وسالم بن عبد الله المتوفى سنة ١٠٦ من التابعين[2].

ومن بعض كلام حذيفة ابن اليمان الذى يشير إلى الزهد: ليس خيركم الذين يتركون الدنيا للآخرة ولا اللذين يتركون الآخرة للدنيا ولكن الذين يتناولون من كل[3].

ولكنه أظهر حبه للفقر قبل موته وقال: ولولا أني أرى أن هذا اليوم آخر يوم من الدنيا وأول يوم من الآخرة لم أتكلم به: اللهم إنك تعلم أني كنت أحب الفقر على الغنى وأحب الذلة على العز وأحب الموت على الحياة[4].

ومن هؤلاء الصحابة كما وصفه صاحب الحلية: الزاهد في الإمرة والمراتب الراغب في الفرية والمناقب المتعبد المجتهد يعد نفسه في الدنيا غريباً ويرى كل ما هو آتي قريباً المستغفر التواب عبد الله بن عمر بن خطاب رضي الله عنهما.[5]

وهو كان يقول في الكعبة وهو ساجد: "قد تعلم ما يمنعني من مزاحمة قريش في هذه الدنيا إلا خوفك"[6]. ووصفه ابن مسعود رضي الله عنه "أنه كان من أملك شباب قريش لنفسه عن الدنيا عبد الله بن عمر[7].

---

١ ــ ابن تيمية والتصوف ص١٣٦ (بتصرف)، دار الدعوة الاسكندرية، مصر

٢ ــ مدخل إلى التصوف الإسلامي أبو الوفى التفتازاني ص٧٢، دار الثقافة للنشر و التوزيع، القاهرة، مصر

٣ ــ حلية الأولياء وطبقة الاصفياء، أبو نعيم الأصفهاني ٣٤٨/١ دار الكتب العلمية بيروت لبنان، ١٩٩٧

٤ ــ حلية الأولياء ٣٥٢/١

٥ ــ حلية الأولياء ٣٦٣/١

٦ ــ حلية الأولياء ٣٦٣/١

٧ ــ حلية الأولياء ٣٦٦/١

وقال جابر رضي الله عنه: ما رأيت ـ أو ما أدركت ـ أحداً إلا قد مالت به الدنيا أو مال بها إلا عبد الله بن عمر[1]. وأنه كان لا يعجبه في ماله إلا شيء أخرج منه لله عزّوجل وهو قال ما شبعت منذ أسلمت[2].

وروي عن نافع كان ابن عمر رضي الله عنه إذا قرأ ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ﴾[3]. بكى حتى يغلبه البكاء[4].

وهو كان يخاف أن يلبس لباساً ليناً لأجل أنه يخاف أن يكون مختالاً فخوراً. وفي رواية عن قزعة قال: رأيت على ابن عمر ثياباً خشنة ـ أو خشبة ـ فقلت له يا أبا عبد الرحمن إني أتيتك بثوب لين مما يصنع بخراسان، وتقر عيني أن أراه عليك، فإن عليك ثياباً خشنة فقال: أرنيه حتى أنظر إليه قال: فلمسه بيده وقال: أحرير هذا؟ قلت لا، أنه من قطن، قال إني أخاف أن ألبسه أخاف أن أكون مختالا فخوراً، والله لا يحب كل مختال فخور[5].

ومنهم عبد الله بن مسعود الذي كان يقول لأصحابه أنتم أطول صلاة وأكثر اجتهاداً من أصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم وهم خير منكم.قالوا لم يا أبا عبدالرحمان؟قال: هم كانوا أزهد في الدنيا وأرغب في الآخرة[6].

وقال: وأيم الله إنهما إلا الغناء أو الفقر وما أبالي أيهما أبتليت إن كان الغناء إن فيه للعطف، وإن كان الفقر إن فيه للصبر[7].

ولا ننسى في المدينة سيد الزهاد أبا ذر رضي الله عنه العابد الزهيد الذى خدم الرسول وتعلم الأصول ونبذ الفضول[8].

ونراه في الوقت التي بسطت الدنيا على الناس أشد إنكاراً عليهم. وطريقة زهد أبي ذر مهمة لأنه كان من أول الناس إسلاماً وأقرب الناس إلى الرسول صلى الله عليه وسلم. من أجل ذلك نراه في كثير من كلامه يقول خليلي صلى الله عليه وسلم عهد إليه كما سنرى في رواياته. وهو بناءاً على هذه التجربة اليقينية ترك الدنيا ولم يبالي بها. وكان يريد أقرب الناس مجلساً إلى رسول الله صلى الله عليه

---

١ ــ حلية الأولياء ١/٣٦٦

٢ ــ حلية الأولياء ١/٣٧١

٣ ــ سورة الحديد، الآية ١٦.

٤ ــ حلية الأولياء ١/٣٧٨

٥ ــ حلية الأولياء ١/٣٧٤

٦ ــ حلية الأولياء ١/١٨٥

٧ ــ حلية الأولياء ١/١٨١

٨ ــ حلية الأولياء ١/ ٢١٠

وسلم في القيامة كما كان في الدنيا. قال أبو ذر رضي الله عنه: إني لأقربكم مجلساً من رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم القيامة، وذلك أني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يَقُولُ إِنَّ أَقْرَبَكُمْ مِنِّي يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَنْ خَرَجَ مِنْ الدُّنْيَا كَهَيْئَتِهِ يَوْمَ تَرَكْتُهُ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ وَاللَّهِ مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا وَقَدْ تَشَبَّثَ مِنْهَا بِشَيْءٍ غَيْرِي)[1].

وهو قال: كان قوتي على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم صاعاً، فلا أزيد عليه حتى ألقي الله عزّوجل[2].

وهنا يظهر لنا أن أبا ذر لم يغير من حياته شيئاً من وقت الرسول صلى الله عليه وسلم يعني أنه لم يصبح زاهداً بعدما رأى الفتن وإقبال الناس على الدنيا.

وقال: إن خليلي صلى الله عليه وسلم عهد إلي أنه أيما ذهب أو فضة، أو كيء عليه فهو جمر على صاحبه حتى ينفقه في سبيل الله عزّ وجل[3].

وهو لما أراد أن يعطيه عثمان رضي الله عنه شيئاً من الصدقة رفض. عن عبد الله بن الصامت بن أخي أبي ذر قال: دخلت مع عمي على عثمان، فقال لعثمان: ائذن لي في الربذة؟ فقال: نعم، ونأمر لك بنعم من نعم الصدقة تغدو عليك وتروح، قال: لا حاجة لي في ذلك يكفي لأبي ذر صرمته. ثم قام فقال: اعزموا دنياكم ودعونا لربنا ودِيننا[4].

وهذا هو أبو ذر رضي الله عنه ومكانة الدنيا عنده.

وبعدهم يأتي التابعون مثل سعيد بن المسيب الذي جمع بين الحديث والفقه والزهد والعبادة والورع[5].

وسالم بن عبد الله بن عمر ومن أقواله في الدنيا: إن الدنيا نذلة وهي إلى كل نذل أميل وأنذل منها من أخذها بغير حقها وطلبها بغير وجهها ووضعها في غير سبيلها[6]. ومما يذكر عنه أنه كان متقللاً في مأكله، فقال عن نفسه، دخلت على الوليد بن عبد الملك، فقال ما أحسن جسمك فما طعامك؟

---

١ ــ مسند الإمام أحمد: قال الشيخ شعيب الأرنؤوط: حديث محتمل للتحسين.

٢ ــ حلية الأولياء ١/٢١٦

٣ ــ السابق ١/٢١٧

٤ ــ السابق ١/٢١٤

٥ ــ مدخل إلى التصوف الإسلامي، ص٧٣.

٦ ــ حلية الأولياء ١/١٩٣

قلت: الكعك والزيت، قال: وتشتهيه؟ قلت أدعه حتى أشتهيه فإذا اشتهيته أكلته. وكان يلبس الصوف ويعمل بيده[1].

وسنرى فيما بعد أثر الصحابة الزهاد من المدينة على المدارس الزهدية الأخرى. وهم نقلوا الحياة الزهدية من المدينة إلى الأمصار الأخرى وأصبحوا قدوة في المجتمع الإسلامي الجديد.

١ ــ مدخل إلى التصوف الإسلامي ص٧٣.

## مدرسة الشام

بعد ما فتحت الشام ودخل المسلمون واستقروا فيها أتى إليها جماعة من زهاد الصحاب كمعاذ بن جبل ثم أبو ذر الغفاري[1] ولكن يعتبر الصحابي الجليل أبو درداء الذي كان من كبار القراء من الذين لهم أثر كبير في الشام[2]. ومن التابعين أبو مسلم الخولاني وقد كان أحد الثمانية من التابعيين الذين انتهى الزهد إليهم[3]. ومن هنا يظهر لنا أن منبع الحياة الروحية في الشام كان من الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين ولا نحتاج أن نبحث عن مصدر له خارج الإسلام. رغم أن المستشرقين بسبب وقوع بلاد الشام في طرف الشمال من الجزيرة العربية واقترابها من بلاد روم يبحثون عن المؤثرات المسيحية في الزهاد المسلمين[4].وهذه القضية سنراها في مبحث مصادر الزهد.

كان أبو الدرداء عويمر بن زيد بن خاصة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن الأنصار ومن كبار قراء المدينة[5]. أبو الدرداء يتكلم عن نفسه ويقول: بعث النبي صلى الله عليه وسلم وأنا تاجر فأردت أن تجتمع لي العبادة والتجارة فلم تجتمعا فرفضت التجارة وأقبلت على العبادة. والذي نفس أبي درداء بيده ما أحب أن لى اليوم حانوتاً على باب المسجد لا يخطئني فيه صلاة أربح فيه كل يوم أربعين ديناراً وأتصدق كل هذه في سبيل الله. قيل له يا أبا الدراداء وما نكره من ذلك؟ قال شدة الحساب وزاد ما أقول إن الله عزّوجل لم يحل البيع وحرم الربا ولكن أحب أن أكون من الذين لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله[6]. وهو لم يترك التجارة إلا بالدوافع الإسلامية مثل الخوف من شدة الحساب وحب أن يبقى مع ذكر الله.

ومن كلامه من لم يعرف نعمة الله عليه إلا في مطعمه ومشربه فقد قل عمله وحضر على بر ولم يكن غنياً عن الدنيا فلا دنيا له[7]. ومفهوم الزهد كعمل قلبي والخوف عن المال لأجل أنه يسبب تفرقة القلب يظهر في كلامه لما قال: اللهم أعوذ بك من تفرقة القلب قيل وما تفرقة القلب؟ قال أن يوضع لي في كل واد مال[8]. وكان يحث على ذكر الله ويقول ألا أخبركم بخير أعمالكم وأحبها إلى ملككم وأنماها في درجاتكم خير من أن تغزوا عدوكم فيضرب رقابكم وتضربوا رقابهم خير من إعطاء

---

١ ــ الحياة الروحية في الإسلام ص،٦٨٥.

٢ ــ السابق ص،٦٨٩.

٣ ــ حلية الأولياء ١٠٣/٢

٤ ــ ابن التيمية والتصوف، د. مصطفى حلمي، ص،١٦٨

٥ ــ نشأة الفكر الفلسفي، ص، ٢٩٠

٦ ــ حلية الأولياء ٢٦٩/١

٧ ــ السابق ١/ ٢٧٠

٨ ــ السبق ٢٨٠/١

الدرهم والدنانير؟ قالوا وما هو يا أبا الدرداء قال: ذكر الله وذكر "الله أكبر"[1]. هو راوي الحديث الذي يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (تفرغوا من هموم الدنيا ما استطعتم)[2]. وهو من الذين طبقوا هذا الحديث على أنفسهم وحاول أن يجمع بين الدنيا والآخرة ولم يستطيع وترك هم الدنيا والأعمال عنده كانت لله فقد قال ثلاث أحبهن ويكرههن الناس: الفقر والمرض والموت. ويشرح هذا بنفسه أحب الموت اشتياقاً إلى ربي وأحب الفقر تواضعاً لربي. وأحب المرض تكفيراً لخطيئتي.[3]

وهنا نفهم أن الجمع بين الدنيا والآخرة ليست سهلة ومن لم يستطع أن يجمع بينهما هل يذم أم لا؟ وإذا ما لم يكن عندنا أى خبر عن ذم أبو الدرداء نفهم أنه لم يذم، والله أعلم.

وبعد هذا العرض الموجز نرى عند أبي درداء كل معاني الزهد وثمراته من ترك الدنيا والإقبال على ذكر الله والخوف من تفرقة القلب بسبب الأموال والاشتياق إلى الله.

ونرى هناك العباد والزهاد من التابعين مثل كعب الأحبار ونوفل البكالي وعمر بن الأسود الكوني الذي قال فيه عمر بن الخطاب رضي الله عنه من سره أن ينظر إلى هدي رسول الله صلى الله عليه وسلم فلينظر إلى هدي عمر ابن الأسود. وقد تجافى عمر بن الأسود عن الشهرة كما تجافى عن الشبع يقول: لا ألبس مشهوراً أبداً ولا أملأ جوفي من الطعام بالنهار أبداً حتى يوم القيامة[4]. وكان يدع كثيراً من الشبع مخافة الأشر[5]. وكان من هؤلاء التابعين الخلص العبادة يزيد بن الأسود وأبو عبد الله السناجي وشرحبيل صمت بن الأسود الذي لجأ إلى العزلة ولما سئل عما يحمله على اعتزال الناس فقال إني أخشى أن أسلب ديني وأنا لا أشعر[6]. والتابعي المشهور من الزهاد أبو مسلم الخولاني وهو انتقل إلى الشام مجاهداً وذهب مرات عديدة في غزو الروم[7].

ومن أقواله التي تظهر موقفه من الدنيا: لأن يولد مولد يحسن الله نباته حتى إذا استوى على شبابه وكان أعجب ما يكون إلي قبضه الله مني أحب إلي من أن يكون لي الدنيا وما فيها[8]. وكان يعبد الله بما يستطيع وعبادته كانت لوجه الله تعالى ليست خوفاً من النار وشوقاً إلى الجنة يقول: لو قيل لي

---

١ ــ حلية الأولياء ١/٢٨٠

٢ ــ المعجم الأوسط: ٥/١٨٦، رقم الحديث: ٥٠٢٥. قال الحافظ الهيثمي: رواه الطبراني في الكبير والأوسط وفيه محمد بن سعيد بن حسان المصلوب وهو كذاب، ( مجمع الزوائد: ١٠/٤٣٢ ).

٣ ــ حلية الأولياء ١/٢٧٨

٤ ــ نشأة الفكر الفلسفي، ٣/٢٩٦.

٥ ــ السابق ٣/٢٩٦.

٦ ــ السابق ٣/٢٩٨

٧ ــ السابق ٣/٢٩٨

٨ ــ حلية الأولياء ٢/١٤٨

إن جهنم تسعر ما استطعت أن أزيد في عملي فقال أيضاً لو رأيت الجنة عياناً ما كان عندي مستزاد، ولو رأيت النار عياناً ما كان عندي مستزاد[1].

وفي الشام من الخلفاء لا ننسى من الخلفاء الراشدة عمر بن عبد العزيز الذي قال عنه مالك بن دينار: يقولون مال بن دينار زاهد إنما الزاهد عمر بن عبد العزيز أتته الدنيا فتركها[2].

ووصل الزهد في الشام إلى أبي سليمان الداراني المحدث الذي لخص الزهد في كلمات موجزة وهي أصل الزهد قال: كل ما شغلك عن الله عزّوجل من أهل ومال وولد فهو عليك شؤم. فإن أقرب ما يتقرب به إلى الله أن ينزل العابد من قبله ما يشغله من متاع الدنيا ونعيم الآخرة إلا هو عزّوجل[3]. وكان من الذين جمعوا بين الحب والخوف وتتخلص نظرية الداراني في ارتباط الخشية من الله بمحبته وكان يقول في دعائه: "وعزتك وجلالك لئن طلبتني بذنوبي لأطالبنك بعفوك، ولإن طالبتني ببخل؛ لأطالبنك بكرمك ولإن أمرت بي إلى النار لأخبرن أهل النار أني أحبك. ولكنه مع هذا الاطمئنان لحب الله وعفوه وكرمه يرى أن "أصل كل خير في الدنيا والآخرة الخوف من الله عزّوجل"[4]. وفي النهاية نرى أن الزهد في الشام من أصل إسلامي أول الزهاد كانوا الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين الذين أخذوا الزهد عن الرسول صلى الله عليه وسلم وأصبحوا قدوة في هذا المجتمع الإسلامي الجديد.

---

١ ــ حلية الأولياء ١٤٩/٢

٢ ــ نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام، ٣٠٣/٣

٣ ــ ابن تيمية والتصوف، د. مصطفى حلمي، ص١٧٣.

٤ ــ السابق ص١٧٦ــ١٧٧.

## مدرسة العراق

مدرسة العراق لها فرعان كبيران وهما البصرة والكوفة. وفي كل هذه البلاد يرجع جذور الزهد إلى أحد الصحابة ثم إلى ما يتمثل في حياة التابعيين وتبع التابعين

### مدرسة البصرة

وفي البصرة كان أبو موسى الأشعري الذي كان من قراء النبي صلى الله عليه وسلم وهو أرسل هناك من قبل عمر رضي الله عنه معلماً وهو يتكلم عن نفسه ويقول: إن أمير المؤمنين عمر بعثني إليكم أعلمكم كتاب ربكم عزّوجل وسنة نبيكم صلى الله عليه وسلم وأنظف لكم طرقكم[1].

وكان يحذر القراء عن طول الأمل وقال أنتم قراء أهل البلد، فلا يطولن عليكم الأمد فتقسوا قلوبكم كما قست قلوب أهل الكتاب[2]. وهو كان يرى بطء الناس عن الآخرة بسبب تعجيل الدنيا لهم كما روى أنس بن مالك في حوار معهم قال: يا أنس ما أبطأ بالناس عن الآخرة وما صبرهم عنها؟ قال: قلت الشهوات والشيطان قال لا والله ولكن عجلت لهم الدنيا وأخرت الآخرة ولو عاينوا ما عدلوا وميلوا[3]. وكان يحذر الناس من فتنة المال ويقول: "إنما أهلك من كان قبلكم هذه الدنيا والدرهم وهما مهلكاكم"[4]. وهو بهذا الشكل زرع الغرس في البصرة الخ فنما وترك ملامح الزهد على كثير من الحياة الروحية فيها[5]. ومن الطبيعي أن يظهر في هذا الجو الذي غرس فيه الحياة الروحية أبو موسى الأشعري أناس عرفوا بالعبادة والزهد. ومنهم الزاهد المشهور والإمام من أئمة القراء الحسن البصري المتوفى سنة ١١٠ وهو كما يعبر عنه صاحب الحلية: حليف الخوف والحزن أليف الهم والشجن عديم النوم والوسن الفقيه الزاهد المتشمر العابد كان لفضول الدنيا وزينتها نابذاً ولشهوة النفس ونخوتها واقذاً[6]. وهو كما يعبر عنه صاحب الحلية بعبارة دقيقة كان تركه لفضول الدنيا وزينتها. وهو أخذ هذا الزهد من أصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم وممن أخذ منهم ويعبر عن ذالك بنفسه ويقول: ولقد رأيت أقواماً كانت الدنيا أهون على أحدهم من التراب تحت قدميه ولقد رأيت أقواماً يمشي أحدهم وما يجد عنده إلا قوتاً فيقول لا أجعل هذا كله في بطني لأجعلن بعضه لله عزّوجل فيتصدق ببعضه وإن

---

١ ــ حلية الأولياء ٣٢٣/٢

٢ ــ حلية الأولياء ٣٢٣/١

٣ ــ السابق ٣٢٥/١

٤ ــ السابق ٣٢٧/١

٥ ــ نشأة الفكر الفلسفي، ١٠٨/٣

٦ ــ حلية الأولياء، ١٥٣/٢.

كان هو أحوج ممن تصدق به عليه[1]. وفي أقواله ظهرت العلاقة بين ترك الدنيا وذكر الله تعالى قال: غداً كل امرء فيما يهمه، ومن هم بشيء أكثر بذكره إنه لا عاجلة لمن لا آخرة له ومن آثر دنيا على آخرته فلا دنيا له ولا آخرة.

وهو عندما يتكلم عن الأقوام الذين رآهم يتبين لنا لماذا كان الناس يزهدون في المال قال: لقد أدركت أقواماً إن كان أحدهم ليرث المال العظيم قال وإنه والله المجهود شديد الجهد قال فيقول لأخيه يا أخي إني قد علمت أن ذا ميراث وهو حلال ولكني أخاف أن يفسد على قلبي وعملي فهو لك لا حاجة لي قال: فلا يرزأ منه شيئاً أبداً وإنه مجهود شديد الجهد[2]. والحسن البصري ببصيرته يفسر آية ﴿فلا تغرنكم الحياة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور﴾[3] قال المبارك بن فضالة كان الحسن إذا تلى هذه الآية قال من قال ذا؟ قاله من خلقها وهو أعلم بها قال وقال الحسن: إياكم وشغل من الدنيا فإن الدنيا كثيرة الاشتغال لا يفتح رجل على نفسه باب شغل إلا أوشك ذلك الباب أن يفتح عليه عشرة أبواب. وهو في التاريخ الحياة الروحية عرف بالحزن والخوف حتى مدرسته سميت مدرسة الخوف والبكاء[4]. وهناك روايات كثيرة حول هذا ولكن هذا الخوف والحزن كان مستنبطاً من القرآن الكريم. الحسن كان يحلف بالله ويقول والله يا ابن آدم لئن قرأت القرآن ثم آمنت به ليطولن في الدنيا حزنك وليشتدن خوفك وليكثرن في الدنيا بكاءك[5]. وهذا القول يكفي لنا لكي نفهم مصدر حزنه وبكائه وخوفه ونرى هذا أوضح في موضع آخر لما كان يفسر الآية ﴿يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ﴾[6] فيفسرها بكلمات قلية فيقول: هو الخوف الدائم[7].

وأن يظهر في كلامه كثيراً الخوف ـ رغم أنه مستنبط من القرآن ـ فربما كان له سبب آخر وهو كما يقول الأستاذ د. مصطفى حلمي: وكذلك فإن للخوف هدفاً لأنه يورث تفادي التظاهر والرياء. فبالخوف والحذر يتفقد العبد الرياء فإذا ما سئل عمن يفضّل: العلماء الذين يذكرون الناس ويخوفونهم، والآخرين الذين لا يفعلون ذلك؟ فيجيب إنه من خوفك حتى تلقى الأمن خير ممن أمنك حتى تلقي المخافة[8]. ومن هنا أصبح واضحاً غرض إمامنا من التخويف في مواعظه فإن جانب الوعيد يقتضي

---

١ ــ حلية الأولياء ١٥٦/٢

٢ ــ السابق ١٦٨/٢

٣ ــ سورة فاطر، الآية ٥.

٤ ــ نشأة الفكر الفلسفي، ١٢٢/٣.

٥ ــ حلية الأولياء ١٥٦/٢

٦ ــ سورة الأنبياء ٨٩

٧ ــ ابن تيمية والتصوف، ص، ١٦٨

٨ ــ الزهد أحمد بن حنبل، ص،٣١٨

ذلك[1]. وهو وهب نفسه لإنقاذ المجتمع البصري مما فيه من ضلال كما أنه بإحساسه بمسئوليته باعتباره شيخا من شيوخ المسلمين ينبغي أن يكون قدوة فأخذ ينكب على قراءة القرآن ويتعلق بالآيات التي تصف النار وعذابها ﴿إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا﴾ [2]، قال الحسن: علم أن كل غريم مفارق غريمه إلا غريم جهنم أيسمع المؤمن هذه الآية ولا يخاف؟[3]. ولكن هو بهذا الخوف الشديد كان يعرف أيضاً أن الخوف والرجاء من صفات المؤمن وقال: الرجاء والخوف مطيتا المؤمن[4].

بعد موت الحسن رضي الله عنه تمثلت هذه الحياة الزهدية والتعبدية عند تلاميذته من أشهرهم مالك بن دينار المتوفى سنة ١٣١. وهو مثل أستاذه كان لشهوات الدنيا تاركاً وللنفس عند غلبتها مالكاً[5].

من كلامه إن في بعض الكتب أن الله تعالى يقول إن أهون ما أنا صانع بالعالم إذا أحب الدنيا أن أخرج حلاوة ذكري من قلبه[6].

وعن حب المال يقول: يقول بعض أهل العلم نظرت في أصل كل إثم فلم أجده إلا حب المال[7]. وهو يحذر عن حب الدنيا وثمراته ويقول: إن البدن إذا سقم لم ينجح فيه طعام ولا شراب ولا نوم ولا راحة، وكذلك القلب إذا علقه حب الدنيا لم تنجح فيه الموعظة[8]. وكان يترك الدنيا والدرهم لخير يبتغيه عند الله ويقول: والله لقد أصبحت ما أملك ديناراً ولا درهماً ولا دانقاً، ولئن لم يكن لي عند الله خير ما كانت لي دنيا ولا آخرة[9]. ولكن زهده لا يجعله يترك الدنيا تماماً ويعيش عيالاً على الناس بل كان يكسب ويعيش على كسب يده وكان يكتب المصاحف ولا يأخذ عليها من الأجر أكثر من عمل يده فيدفعه عند البقال فيأكله. والكره لأصحاب الدنيا لم يكن مطلقاً. لما قيل له إنك لتغلظ على الناس في لباسهم وطعامهم فقال مالك: اكسبوا الحلال والبسوا ما شئتم وكان يمدح صديقه محمد بن واسع ويقول إني لأغبط رجلاً مع دينه، له قوام من عيش، راض عن ربه عزّوجل[10].

---

١ ــ ابن تيمية والتصوف، ص١٦٥.

٢ ــ سورة الفرقان، الآية ٦٥.

٣ ــ ابن تيمية والتصوف، ص١٦٥.

٤ ــ حلية الأولياء ١٧٨/٢

٥ ــ السابق ٤٠٦/٢

٦ ــ السابق ٤٠٩/٢

٧ ــ السابق ٤٠٨/٢

٨ ــ السابق ٤١٢/٢

٩ ــ السابق ٤١٦/٢

١٠ ــ نشأة الفكر الفلسفي ١٦٩/٣.

وفي البصرة شخصية أخرى اشتهرت بالزهد وهي رابعة العدوية. ولكنها تختلف عن شخصية الحسن البصري الذي كان إماماً في البصرة وكان معروفاً بالخوف والحزن. وهي زادت على هذا الخوف والحزن عامل أخر وهو الحب كما قال: د. محمد مصطفى حلمي وهي زادت على هذا كله عاملاً جديداً كان له آثار خصبة قوية في توجيه الحياة الروحية ومما يدل على هذا أنها كانت تقول: إلهي إذا كنت أعبدك رهبة من النار فأحرقني بنار جهنم، وإذا كنت أعبدك رغبة في الجنة فاحرمنيها، وأما إذا كنت أعبدك من أجل محبتك فلا تحرمني يا إلهي من جمالك الأزلي[1]. ولكن هذا لا يعني أنه لم يكن عندها الخوف والحزن. كما بين الشعراني أنها كانت رضي الله عنها كثيرة البكاء والحزن. كانت إذا سمعت ذكر النار غشي عليها زماناً[2]. ولكن الحالة الغالبة عليها كانت محبة الله. من أجل ذلك هي عرفت بقائدة مدرسة الحب في الحياة الروحية.

## مدرسة الكوفة

الحياة الروحية في الكوفة كما كان في الأمصار الأخرى يرجع أصلها إلى الصحابة رضوان الله عليهم. أرسل عمر بن الخطاب رضي الله عنه عبد الله بن مسعود رضي الله عنه القارئ الأول لرسول الله صلى الله عليه وسلم ليلي قضاء الكوفة وبيت مالها وليعلم أهلها القرآن. ولقد كان لعبد الله بن مسعود في نشأة الحياة الروحية وتطورها في الكوفة المكان الأول. كان لا بد لقارئ القرآن أولا أن ينشأ حلقة قرآنية فتكونت طائفة القراء في الكوفة، كما تكونت طائفة القراء في البصرة، وستنشأ العبادة والزهد في هذه الطائفة[3].

وعبد الله بن مسعود رضي الله عنه كان يقول: ما أحد من الناس يوم القيامة إلا يتمنى أنه كان يأكل في الدنيا قوتاً. ومن كلامه أيضاً: من أراد الدنيا أضر بالآخرة، ومن أراد الآخرة أضر بالدنيا، يا قوم فأضروا بالفاني للباقي[4].

وممن أثر من الصحابة على الكوفة في الزهد سلمان الفارسي رضي الله عنه الذي كان يقول: أوصاني خليلي ألا يكون متاعي من الدنيا إلا كزاد الراكب[5]. ومنهم حذيفة ابن اليمان رضي الله عنه

---

١ ــ الحياة الروحية ص،٩٥.

٢ ــ الحياة الروحية في الإسلام ص،٩٢.

٣ ــ نشأة الفكر الفلسفي ٢١٩/٣.

٤ ــ حلية الأولياء ١٨٧/١

٥ ــ حلية الأولياء ٢٤٣/١

الذي عاش في المدائن والكوفة عيشة الفقراء الزاهدين[1]. وأخيراً رباني الأمة علي بن أبي طالب رضي الله عنه وينتقل أثره الكبير إلى الزهد في الكوفة[2].

وفي الكوفة كان تلامذة عبد الله بن مسعود مثل مسروق بن عبد الرحمن الهمداني، والأسود بن يزيد، والربيع بن الخثيم وهم كانوا من الثمانية الذين انتهى إليهم الزهد من التابعين[3].وعلقمة بن قيس رباني الأمة[4].

وكان مسروق يمثل العبادة التقليدية المأثورة عن الصحابة، فعاش عيشة زاهدة، يدعو الناس إلى الإخبات في الصلاة، وأن السجود هو طريق القرب إلى الله. ولذلك شبهوه بالرهبان "كان يقوم للصلاة كأنه راهب". وكان يأخذ بيد ابن أخ له، ويرتقي به إلى كناسة الكوفة، ويقول له: "ألا أريك الدنيا، هذه الدنيا أكلوها فأفنوها، لبسوها فأبلوها، وركبوها فانضوها، سفكوا فيها دماؤهم، واستعملوا فيها محارمهم، وقطعوا منها أرحامهم[5].

وبعد هؤلاء نرى من أشهر الذين عرفوا في الكوفة بالزهد وهو سفيان الثوري. ولقد أجمعت مصادر الفكر الإسلامي جميعاً أن أبا عبد الله سفيان الثوري كان عالم الأمة وعابدها ويقول عنه أبو نعيم كان العلم حليفه والزهد أليفه[6]. ولكن لم تكن العبادة والزهد عند سفيان تعني التبطل عن التكسب، بل دعى القراء إلى العمل والتكسب من ذات أيدهم[7]. فيذهب إلى البصرة فيجلس في مجلس العابد البصري يوسف بن عبيد. فإذا فتيان كأن على رؤوسهم الطير فقال يا معشر القراء ارفعوا رؤسكم، فقد وضح الطريق، واعملوا لا تكونوا عالة على الناس[8].

وكان يقول: الزهد في الدنيا قصر الأمل، ليس بأكل الغليظ ولا بلبس العباء[9].

قيل لسفيان الثوري أيكون الرجل زاهداً ويكون له المال؟ قال: نعم، إن كان إذا ابتلي صبر وإذا أعطي شكر[10].

---

١ ــ نشأة الفكر الفلسفي ٢٢٣/٣

٢ ــ السابق ٢٢٦/٣

٣ ــ حلية الأولياء ١٢٤/٢

٤ ــ السابق ١١٥/٢

٥ ــ نشأة الفكر الفلسفي ٢٢٨/٣.

٦ ــ السابق ٢٣٩/٣

٧ ــ السابق ٢٤١/٣

٨ ــ حلية الأولياء ٦/ ٩٢٢٤.

٩ ــ حلية الأولياء ٩٢٤٩/٦.

١٠ ــ حلية الأولياء ٩٢٦١/٦.

وكان يحذر الناس من نتائج حب الدنيا ويقول: من أحب الدنيا وسر بها نزع خوف الآخرة من قلبه[1]. وتكلم عن نتائج الزهد كما تكلم عن نتائج حب الدنيا. قال إذا زهد العبد في الدنيا أنبت الله الحكمة في قلبه، وأطلق بها لسانه، وبصره عيوب الدنيا ودواءها[2].

ومن كلامه: خير الدنيا لكم ما لم تبتلوا به منها وإذا ابتليتم به فخيرها لكم ما خرج من أيدكم منها[3]. قال إن لم تدعوا الدنيا رغبة في الآخرة فاتركوها اتقاء.

ومن الزهاد في الكوفة الفقيه المحدث داوود الطائي. وقد اعتبرت كتب التصوف داود الطائي أول الزهاد الرسميين في العالم الإسلامي وأرخوا له جميعاً في كتبهم.[4]

ومن كلامه: كفى باليقين زهداً وكفى بالعلم عبادة، وكفى بالعبادة شغلاً[5].

وهو من الزهاد الذين لم يتزوجوا ولكنّ لهذا سبباً عنده. لما قيل له: لو تزوجت، فقال كيف يقلب ضعيف ليس يقوم بهمه يجتمع عليه همان؟[6].

وزهده كان خاصاً له ما كان يحاول قط أن يدفع بالمسلمين إلى طريقته، أو أن ينشئ دويرة، كان يرى أن الناس أضعف من أن يتحملوا ما تحمل.

---

١ ــ حلية الأولياء ٩٧٣٢/٦

٢ ــ السابق ٩٢١٩/٦

٣ ــ السابق ٩٤٠٣/٦

٤ ــ نشأة الفكر الفلسفي ٢٤٨/٣.

٥ ــ حلية الأولياء ١٠٩٩٤/٧

٦ ــ السابق ١١٠٤٩/٧

## مدرسة خراسان

زهدية الأخرى أن لكل مدرسة قدوة من الصحابة رضوان الله عليهم الذين أخذوا الزهد عن الرسول صلى الله عليه وسلم ولكن في خراسان الأمر يختلف بسبب تأخير استقرار الإسلام في هذه البلاد لا نرى أحداً من الصحابة جاء معلماً في هذه البلاد كما كان في المدارس الأخرى. ولكن هذا لا يعني أن الحياة الزهدية في خراسان ما كانت تعتمد على الإسلام. بل كانت صلة الزهد في خراسان بالمصدر الإسلامي ما ليست بأقل من المدارس الأخرى لأننا نرى أكبر زهاد خراسان كانوا محدثين مثل عبد الله بن المبارك وإبراهيم بن أدهم وفضيل بن عياض. كما قال د. نشار: بل سيكون الحديث سمة مؤكدة للزهادة وللزهاد المتجهين نحو التصوف من أمثال فضيل بن عياض وإبراهيم بن أدهم. وكان الحديث عاصماً للزهاد إلى أكبر حد من انزلاقهم نحو الأفكار غير الإسلامية[1].

ولم يكن عبد الله بن المبارك سيد المحدثين فقط بل كان أيضاً مرابطاً ومجاهداً حارب أبناء جنسه من غير المسلمين، ورابط في الثغور، وكانت المرابطة والجهاد سنة العلماء الحقيقين كما كانت سنة العباد والزهاد. وسنرى إبراهيم بن أدهم يفعل الشيء نفسه[2].

وعبد الله بن المبارك رغم زهده كان يتاجر ولما سأل الفضيل بن عياض عن هذا قال: أنت تأمرنا بالزهد والتعلل والمبالغة ولا تزال تأتي بالبضائع من بلاد خراسان إلى الحرم كيف ذلك؟ فقال ابن المبارك: يا أبا علي إنما أفعل ذلك لأصون به وجهي، وأكرم به عرضي، وأستعين به على طاعة ربي، لا أرى لله حقاً إلا سارعت إليه حتى أقوم به. فقال له الفضيل يا ابن المبارك ما احسن إن تم ذاك. وكان ينفق على الفقراء في كل سنة مائة ألف درهم[3].

وكان يقول جمعنا العلم للدنيا، فدلنا على ترك الدنيا أي أنه أراد أن يتعلم الحديث والفقه لينشر، فقاداه بعد أن عرف الحقيقة إلى الزهد، والخروج من الدنيا، ورأى أنه لا بد من مجاهدة النفس على سلوك طريقة الزهد "إن الصالحين في ما مضى كانت أنفسهم تواتيهم على الخير عفواً، وإن أنفسنا لا تواتينا إلا على كره، ينبغي أن نكرهها[4].

وهو امتنع عن النوم كما كان صائم الدهر[5].

وقد كان أقرب الناس إليه في مشربه في الزهد هو الفضيل بن عياض المتوفى في سنة ١٨٧ هـ.

---

١ ــ نشأة الفكر فلسفي ٣/٣٨٣.

٢ ــ السابق ٣/٣٩٠

٣ ــ السابق ٣/٣٩٠

٤ ــ السابق ٣/٣٩١

٥ ــ السابق ٣/٣٩١

قيل لفضيل ما الزهد في الدنيا؟ قال القناعة وهو الغنى.

وقال: جعل الخير كله في بيت وجعل مفتاحه الزهد في الدنيا.

وهو كان يربط الإيمان بالزهد قال: حرام على قلوبكم أن تصيبوا حلاوة الإيمان حتى تزهدوا في الدنيا[1].

وكان يدعو الله ويقول: اللهم زهدنا في الدنيا فإنه صلاح قلوبنا وأعمالنا وجمع طلبنا ونجاح حاجاتنا[2].

كان الفضيل أحد البكائين في الإسلام[3]. ولقد كان الفضيل يرى الحزن نعمة من الله ودليلاً على حب الله للعبد "إذا أحب الله عبداً أكثر نجمه، وإذا أبغض الله عبداً وسع عليه دنياه، وحزن الدنيا يذهب بهم الآخرة، وفرح الدنيا يذهب بحلاوة العبادة[4].

ونرى في خراسان زاهداً آخر وهو إبراهيم بن أدهم المتوفى في سنة ١٦١ ه. وهو خرج للحديث فذهب إلى البصرة، والبصرة موطن الروح كما ذهب إلى الكوفة وحدث بها وأخذ عن سفيان الثوري ثم انبعث فيه نوازع الروح فلم يعد إلى خراسان، بل انطلق إلى مكة أحياناً ثم إلى الشام والثغور يردد أنشودة الزهد[5]. وهو نشأ في بيت غني ويسار[6]. ولكن انتقل الفتى الغني المترف في حياة الغنى والقصور إلى حياة الشظف القاصي وفعل هذا باختياره ورفض أن يرث مال أبيه بعد موته. ولقد كره البقاء في خراسان واندفع إلى بلاد شام ولكنه لم يلجأ إلى السؤال، بل كره أشد الكره، واحتقر زاهداً يسأل في الطريق، أو على أبواب المساجد يسأل الناس، بل أخذ يعمل مزارعاً وبستانياً وحمالاً وحطاباً[7].

وكان يقول: أنعم الله على الفقراء لا يسألهم يوم القيامة لا عن زكاة ولا عن حج ولا عن صلة رحم، إنما يسأل هؤلاء المساكين يعني الأغنياء[8].

وهو كان يربط الزهد بالخوف والعمل والتقوى واليقين المعاني التي لا بد أن يتزين بها المسلم حتى يصل إلى كمال الإيمان. قال: أقرب الزهاد إلى الله عزّوجل أشدهم خوفاً، وأحب الزهاد إلى الله

---

١ ــ حلية الأولياء ١١٤٨١/٧

٢ ــ السابق ١١٥٤٥/٧

٣ ــ نشأة الفكر الفلسفي ٣٩٩/٣.

٤ ــ السابق ٤٠٠/٣

٥ ــ السابق ٤٠٨/٣.

٦ ــ السابق ٤١٣/٣.

٧ ــ السابق ٤١٨/٣.

٨ ــ حلية الأولياء ١١١١٦/٧

أحسنهم له عملاً، وأفضل الزهاد عند الله أعظمهم فيما عنده رغبة، وأكرم الزهاد عليه أتقاهم له، وأتم الزهاد زهداً أسخاهم نفساً وأسلمهم صدراً، وأكمل الزهاد زهداً أكثرهم يقيناً[1].

وهكذا نرى في مدرسة خراسان الجمع بين الحديث والزهد. ولا عجب أن يظهر من المحدثين الزهاد الكبار بعدما رأينا أن أقوال الرسول صلى الله عليه وسلم وأفعاله تدعو إلى الزهد في الدنيا والرغبة في الآخرة.

---

١ ـــ حلية الأولياء ٧/١١٤١٤

## مدرسة مصر

وهناك مدرسة أخرى للزهد في القرنين الأول والثاني ولكن الأخبار التى وصلت الينا قليلة عن هذه المدرسة بالمقارنة بالمدارس الأخرى التى سبقت ذكرها. و هى تحتاج العناية عن الباحثين الذين يبحثون عن الزهد مستقلا. و لكن فى النهاية الزهاد فى هذه المدرسة أيضا كانوا من العلماء و الفقهاء كما كان فى المدارس الأخرى.من أجل ذالك الزهد فى مصر لم يخرج عن الخط الإسلامى.

والنقطة المهمة الأخرى فى مدرسة مصر أن من يتهم الزهاد بالتأثر من الرهبان لا بد أن يفكر لماذا كان عدد الزهاد أقل فى مصر رغم أن مصر كان مكان ظهور الرهبانية.

وقد دخل مصر منذ الفتح الاسلامي عدد من الصحابة، كعمر ابن العاص وابنه عبدالله الذي كان معروفا بالزهد، والزبير ابن العوام، والمقداد ابن الاسود، وقد ذكر السيوطي في حسن المحاضرة شيئا عن أخبارهم.

ويذكر من زهاد مصر في القرن الاول الهجري سليم بن عتر التجيبي، وقد حكى عنه الكندي في كتابه الولاة والقضاة أنه كان كثير العبادة وتلاوة القران، وأنه كان يصدق فيه قول الله تعالى﴿ **كَانُوا قَلِيلًا مِنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ**﴾[1]

وقد ولى القضاء بمصر، وتوفي سنة ٧٥ هـ بدمياط.

ومنهم عبدالرحمن بن حجيرة الذي ولى القضاء بمصر سنة ٦٩ وتوفي سنة ٨٣ هـ ، وكان زاهدا في الدنيا عابدا ناسكا وعرف له ابن عباس علمه، فقد روى ابن المغيرة ان رجلا سال ابن عباس عن مسالة فقال تسالني وفيكم ابن حجيرة؟.

وكان دخل ابن حجيرة الف دينار في السنة، فلا يحول عليه الحول وعنده شيء، يفضل على أهله واخوانه، وهذا يدل على زهده. ومن أقواله ان القاضي اذا قضى بالهوى احتجب الله عز وجل منه استتر.

ومن الزهاد الذين اقاموا بمصر فترة طويلة نافع مولى عبدالله ابن عمر، وهو من كبار التابعين، توفي سنة ١١٧هـ. وقد بعثه عمر ابن عبدالعزيز يعلم السنن، فأ قام بها زاهدا ناسكا.

ولعل أبرز زهاد مصر في القرن الثاني الهجري الليث ابن سعد، وهو شخصية جديرة بالدراسة، وكان مشهورا بالزهد والنسك وهو مصري، ولد بقلقشندة، احدى قرى الوجه البحري سنة ٩٤هـ وتوفي بمصر سنة ١٧٥هـ. ومع زهده كان ثريا سخيا كما يقول ابن خلكان، وفقيها مشهورا صاحب مذهب.

---

١ سورة الذاريات ١٧.

ومنهم حياة ابن شريح الفقيه المصري وذكر عنه انه لزهده كان ياخذ عطاءه وقدره ستون دينارا، ويتصدق به، وابو عبدالله ابن وهب بن مسلم المصري وكان كما يصفه ابن خلكان احد ائمة عصره، وقد صحب مالك ابن أنس، وكان دائم الخوف من الله.[1]

١ – المدخل إلى التصوف الإسلامي – ص ٨١

## المبحث الثالث

## تطور الزهد في المجتمع الإسلامي

وفي هذا المبحث سنركز على أقوال الصوفية وبيان مفهومهم للزهد. ولكن قبل هذا ينبغي علينا أن ندخل إلى مسألة أصبحت موضوع المناقشة بين الباحثين في التصوف والزهد. وهي هل الزهد تطور إلى التصوف أو لا؟ إجابة على هذا السؤال نستطيع أن نقول من ناحية: نعم، ومن ناحية أخرى: لا. نستطيع أن نقول نعم من ناحية لأن الذين تكلموا عن المعاني الروحية والذين تقللوا عن الحياة الدنيا وملذاتها وأقبلوا على الله وعلى عبادة الله هم كانوا الذين يسمون بالزهاد. والصوفية بأنفسهم يعتبرون كثير منهم أئمة لهم.

ونستطيع أن نقول لا لأسباب متعددة.منها: أن التصوف يعني أكثر مما يعني الزهد. التصوف لا يعني فقط العبادة والتقلل عن الحياة الدنيا فكل صوفي زاهد وعابد بالضرورة، وليس كل زاهد وعابد صوفياً بالضرورة[1]. الصوفي رغم أنه يجعل الزهد أساساً في طريقته إلا أنه لا يبقى في هذه المرحلة بل يسعى أن يتجاوزها. كما قال الأستاذ د. محمد مصطفى: التصوف غير الفقر، والزهد غير الفقر، والتصوف غير الزهد، فالتصوف اسم جامع لمعاني الفقر، ومعاني الزهد، مع مزيد أوصاف وإضافات لا يكون بدونها الرجل صوفياً وإن كان زاهداً فقيراً[2]. والتفرقة بين الزهد المجرد والتصوف تفرقة جوهرية[3]. كما يقول الشيخ الدكتور عبد الحليم محمود: الكل يتفق على أن الزاهد غير الصوفي إنما هدفه الاستمتاع في الآخرة أما الصوفي فإن يزهد في الدنيا لأنه يتنزه عن أن يشغله شيء عن الله[4]. ويقول أبو يزيد البسطامي: العارف همه ما يأمله والزاهد همه ما يأكله.

ولا بد أيضاً أن ننتبه إلى أن الزهد في المجتمع الإسلامي باعتباره قيمة من قيم الإسلام الأخلاقية كان يعيشه أناس من كل الفرق سواء كان من أهل السنة أو الفرق المبتدعة وتميز أهل السنة منهم بالتصوف. قال الأستاذ محمد مصطفى إشارة إلى هذا: وتميز أهل السنة ومن ورائهم جمهور المسلمين حين نشأت الفرق المبتدعة كالخوارج والمتعتزلة والشيعة، منذ القرن الأول، وفي زمن مبكر منه، وادعوا مع انحرافهم الزهد والعبادة فكان لا بد من تميز الزهاد والعباد الحقيقيين المقبول زهدهم وعبادتهم بلا بدعة، بلا غلو أو مغالاة، بلا إفراط وتفريط[5]. وهذا يظهر بوضوح فيما تنقل كتب

---

١ ــ التصوف حياة تجربة وطريقاً، د.كمال جعفر، ص٦٤، دار المعرفة الجامعية،الاسكندرية،١٩٨٥

٢ ــ علم التصوف، د. محمد مصطفى ص٣٩، ط١، مطبعة السعادة، ١٩٨٣

٣ ــ السابق، ص٨٠

٤ ــ مقدمة المنقذ من الضلال، ص١٧١

٥ ــ علم التصوف، ص١٦١

الصوفية من أن اسم الزهاد لم تظهر عند الفرق الأخرى كالمعتزلة والخوارج رغم وجود الزهاد من هذه الفرق. وإلى جانب كل هذه الأشياء أصبح الزهد عند الصوفية علماً دقيقاً بعدما كان عملاً.فقراهم كتبوا عن معاني الزهد ومراحل الزهد ونتائج الزهد ووسائل الزهد والأشياء التي تؤدي إلى الزهد وتبعد عن الزهد وإلى غير ذلك.

وبعد هذا لو نأتي إلى الزهد في التصوف لا بد علينا أن نعرف التصوف بطريقة عامة بدون أن ندخل إلى التفاصيل. أن التصوف له تعريفات كثيرة كما قال القشيري: وتكلم الناس في التصوف ما معناه؟ وفي الصوفي من هو؟ فكل عبر بما وقع له. ولكن في النهاية نستطيع أن نعبر عن التصوف أنه تخلي عن الأخلاق الفاسدة والتحلي بالأخلاق الفاضلة. كما قال أبوبكر الكتاني: حقيقة التصوف الخلق[1]. وفي كل صورة من صور الحديث عن المتصوف والصوفي لا نكاد نخطئ عنصر الأخلاق إما بارزاً بطريقة صريحة، وإما مفهومها بطريقة ضمنية وليس ذلك إلا لما للأخلاق من اعتبار خاص في التصوف، يكاد يصبغ كل ناحية من نواحيه وكل وجه من وجوهه، حتى يكاد التصوف من شدة ملابسته أن يعرف به[2]. ولكن التوصل إلى هذه الدرجة المطلوبة من الأخلاق ليس أمراً هيناً ولا هو إجراء عملي بسيط يصبح المرء فيه فإذا هو قد خلى عن ثوب الأخلاق الذميمة، وارتدى ثوب الأخلاق الكريمة. ويقول السهروردي: وتحسين الأخلاق لا يأتي إلا بعد تزكية النفس. واكتساب الأخلاق الإسلامية الشريفة إذاً لا يتأتى إلا بعد عمل طويل في مجاهدة النفس. من أجل ذلك أصبحت المجاهدة عند القوم هى الأساس الذي لا بد منه.[3]

---

١ ـــ في التصوف والأخلاق، د.عبد الفتاح عبد الله بركة ص٩٩، ط١، دار الطباعة المحمدية، القاهرة، مصر، ١٩٨٠

٢ ـــ السابق ص٤٨

٣ ـــ السابق، ص٩٩

## علاقة الزهد بتزكية النفس والمجاهدة

من أجل ذلك يرون أن من يسلك طريقهم لا بد عليه من المجاهدة. يقول القشيري: اعلم أن من لم يكن في بدايته صاحب مجاهدة، لم يجد من هذه الطريقة شمة. ويقول أبو عثمان المغربي: من ظن أن يفتح له شيء من هذه الطريقة، أن يكشف له عن شيء منها، إلا بلزوم المجاهدة، فهو في غلط[1]. ويأخذ العموم شكلاً أكثر تفصيلاً حين يقسمها الصوفية إلى ظاهرة وباطنة، وتنتظم المجاهدة الظاهرة كالعبادات والتكاليف الخاصة بالبدن وتنتظم والمجاهدة الباطنية التصفية النفسية من كل علائق الدنيا والهوى والشهوة ونزغات الشيطان و الأخلاق الفاسدة.[2]

وإذا عرفنا هذا نفهم لماذا كان اهتمام الصوفية بالزهد في الدنيا بهذا الشكل التفصيلي نظرياً وعملياً. لأن المجاهدة أصل طريقهم والدنيا من الأشياء التي يجب على المريد أن يجاهدها وهم يرون أن هذه النفس التي يريدون تزكيتها هي التي تطلب ملذات هذه الحياة وما فيها من متع وزينة وأفراح وهي لا معرفة عندها ولا علم ولا هداية إلا لتحقيق هذه المشتهيات والمآرب وما يمليه عليها الهوى[3].

من أجل ذلك نرى عندهم تشددا كبيرا على ترك الدنيا وشهواتها لأنهم يريدون أن يؤدبوا هذه النفس التي تطلب الشهوات فقط وتبعد الناس عن الحق. من أجل ذلك نحن نرى أحياناً من يكمل مجاهدته النفسية يصبح رجلاً غير الرجل الذي نراه في أثناء المجاهدة.

---

١ ــ الرسالة القشيرية، ص،٥٢

٢ ــ علم التصوف د.محمد مصطفى، ص، ٧٠

٣ ــ في التصوف والأخلاق، ص،٩١.

## المقامات والزهد

إذا أراد الصوفي أن يمشي على هذا الطريق (طريق مجاهدة النفس) ويريد أن يتخلص من الأخلاق المذمومة ويتحلى بالأخلاق الفاضلة حتى يتقرب إلى الله يوماً بعد يوم عليه أن يجهز نفسه للسفر، وهذا ما يسمى عندهم السير إلى الله. وقطع هذا الطريق ليس مسألة مادية، بل هي مسألة نفسية، إنها قطع عقبات النفس وطرح خصالها المذمومة واكتساب الصفات الحميدة[1]. فإذا بدأ السالك بقطع مرحلة من عقبات نفسه لكي يصل إلى منتهاها فإنه يكون قد دخل منزلة يتحقق فيها بسعيه وجهده، فيقيم فيها ما قدر له المقام فيهاحتى يبلغ غايتها، ولذلك تسمى مقاماً.[2]

عرف القشيري المقام بأنه ما يتحقق به العبد بمنازلته من الآداب ما يتوصل إليه بنوع تصرف ويتحقق به بضرب تطلب ومقايسة تكلف فمقام كل أحد موضع إقامته عند ذلك وهو مشتغل بالرياضة له وشرطه أن لا يترقى من مقام إلى مقام آخر ما لم يستوف أحكام ذلك المقام؛ فإن من لا قناعة له لا يصح له التوكل ومن لا توكل له لا يصح له التسليم وكذلك من لا توبة له لا تصح له الإنابة ومن لا ورع له لا يصح له الزهد.[3]

وأدخل الصوفية الزهد بين مقاماتهم لشدة اهتماهم به وجعلوه من الأصول لأن المقامات عندهم من الأصول. قال الجنيد رحمه الله: النقصان في الأحوال فروع لا تضر، وإنما يضر التخلف مثقال ذرة في حال الأصول. فإذا أحكمت الأصول لم يضر النفس في الفروع. والأصول ليست سوى المقامات أو المجاهدات والمعاملات المأخوذة من الشريعة.[4] والزهد عندهم من أصل الأصول لا ينبغي على الصوفي أن يعيش بدون الزهد فلا عذر في عدم التخلق بالزهد؛ في الدنيا.[5] ولقد رأيت أن عدد المقامات أحياناً يتغير يزداد بالزيادة والنقصان فيما ذكره الصوفية في مؤلفاتهم غير أنني لم أر كتابا منها يهمل ذكر الزهد. ولهذا قال السراج الطوسي: "من لم يحكم أساسه في الزهد لم يصح له شيء مما بعده"[6].

قال الكتاني: "الشيء الذي لم يخالف فيه كوفي ولا مدني ولا عراقي ولا شامي هو الزهد في الدنيا وسخاوة النفس والنصيحة للخلق" يعني أن هذه الأشياء لا يقول أحد إنها غير محمودة بل محمودة؛ كيف لا قد أجمع أهل الأقاليم على حسن هذه الصفة وحينئذ فلا عذر في عدم التخلق في الزهد

---

١ ــ في التصوف والأخلاق، ص،١٤١.

٢ ــ السابق ص، ١٤٢

٣ ــ الرسالة القشيرية ص،٣٤

٤ ــ المقامات والأحوال، ص٦.

٥ ــ نتائج الأفكار القدسية في بيان معاني شرح الرسالة القشيرية، لشيخ الاسلام زكريا بن محمد الانصاري ص٢٧٥، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ٢٠٠٠م.

٦ ــ اللمع، ص ٧٢. تحقيق الدكتور عبد الحليم محمود، بالاشتراك. دار الكتب الحديثة، مصر ١٩٦٠م.

في الدنيا.[1]

حتى السهروردي جمع كل الأحوال والمقامات في ثلاثة أشياء ومن بينها الزهد يقول وإني بمبلغ علمي وقدر وسعي وجهدي اعتبرت المقامات والأحوال وثمرتها فرأيتها يجمعها ثلاثة أشياء بعد صحة الإيمان وعقوده وشروطه، فصارت مع الإيمان أربعة، ومن تحقق بحقائق هذه الأربعة يلج ملكوت السماوات ويكاشف بالقدر والآيات، ويصير له ذوق وفهم لكلمات الله تعالى المنزلات ويحظي بجميع الأحوال والمقامات فكلها من هذه الأربعة ظهرت وبها تهيأت وتأكدت، فأحد الثلاثة بعد الإيمان التوبة النصوح.والثاني: الزهد في الدنيا. والثالث: تحقيق مقام العبودية بدوام العمل لله تعالى ظاهراً وباطناً من الأعمال القلبية والقالبية من غير فطور وقصور، واتفق العلماء الزاهدون والمشائخ على أن هذه الأربعة بها تستقر المقامات وتستقيم الأحوال.

---

١ ــ نتائج الأفكار القدسية ص،٢٧٥.

## الزهد عند الصوفية

للزهد عند الصوفية تعريفات كثيرة فذكر كل واحد منهم ما رآه غالباً على نفسه أو ما كان يخاطبه.

قال الجنيد(تـ٢٩٧هـ): خلو اليد من الملك وخلو القلب من التتبع[١].

وقال الجنيد أيضا: استصغار الدنيا ومحو آثارها من القلب.(الرسالة القشيرية ص.٦١

وقد سئل الجنيد عن الزهد فقال معنيان ظاهر وباطن فالظاهر بغض ما في الأيد من الأملاك وترك طلب المفقود والباطن زوال الرغبة عن القلب ووجود العزوف والانصراف عن ذلك.[٢]

وقال أبو عثمان(تـ ٢٩٨ هـ): أن تترك الدنيا ثم لا تبالي بمن أخذها.

وقال ابن الجلاء: الزهد النظر إلى الدنيا بعين الزوال لتصغر في عينك فيسهل عليك الإغراض عنه.[٣]

وقال مسروق: الزهد الذي لا يملكه مع الله سبب.[٤]

وقال أبو سليمان الداراني(تـ ٢١٥ هـ): ترك ما يشغل عن الله تعالى.

قال سفيان الثوري، وأحمد وعيسى بن يونس وغيرهم: الزهد في الدنيا إنما هو قصر الأمل؛ ولكن القشيري يعلق على هذا ويقول: وهذا الذي قالوه يحمل على أنه من أمارات الزهد والأسباب الباعثة عليه والمعاني الموجبة له.

قال عبد الله بن المبارك، وشقيق البلخي ويونس بن أسباط: الزهد هو الثقة بالله مع حب الفقر. وهذا أيضاً من أمارات الزهد فإنه لا يقوي العبد على الزهد إلا بالثقة بالله.[٥]

قال الشبلي(تـ٣٣٤ هـ): أن تزهد فيما سوى الله تعالى.[٦]

---

١ ــ الرسالة القشيرية ص،٦١.

٢ ــ قوت القلوب ص،٥٣٣.

٣ ــ الرسالة القشيرية ص،٦١

٤ ــ التعرف ، ص،١١٢

٥ ــ الرسالة القشيرية، ص،٦١.

٦ ــ السابق، ص،٦١.

قال السري( ت ٢٥٣ هـ): الزهد ترك حظوظ النفس من جميع ما في الدنيا، ويجمع هذا: الحظوظ المالية، والجاهية وحب المنزلة عند الناس وحب المحمدة والثناء.[١]

وقال المحاسبي( ت ٢٤٣ هـ ): قال الزهد هو العزوف عن الدنيا ولذاتها وشهواتها. والعزوف انصراف النفس.

وإذا نظرنا إلى التعريفات يظهر أمامنا معان متعددة للزهد مثل إخراج الدنيا من القلب ثم إخراج الدنيا من اليد ثم إخراج كل شيء سوى الله تعالى من القلب وأن لا يشتغل إلا به. وإخراج كل شيء من القلب لا يعني فقط المال بل يشمل كل حظوظ النفس من المال والجاه وحب المنزلة وحب المحمدة والثناء.ومن هنا نفهم أن الزهد عندهم لا ينحصر فى لذات شهوات الدنيا التى نفهم فى الوهلة الأولى عن المال و الأكل و الشرب الخ. وللزهد عندهم كما كان معان متعددة وأيضاً مستويات متعددة وهذا من طبيعة التصوف. إن كل وسيلة من وسائلهم في طريقهم إلى الله (والزهد من هذه الوسائل) لا تحمل مستوى واحد، بمعنى أن الزهد مثلاً لا يعني ترك الملذات والصوم أو التقشف وتناول الخشن من الطعام والثياب فقط بل يمتد الزهد ويترقى حتى يشمل أشياء أخرى لم يكن لفظ الزهد مستعداً لأن يشملها لأنه كان يصور حالة ابتدائية ولهذا شاع بين الصوفية منهج التقسيم كل وسيلة أو مبدأ إلى درجات فهناك زهد أهل البدايات أو العوام وهناك زهد المتوسطين وهناك زهد الكمل أو الواصلين[٢].

والصوفية فرقوا بين الناس في الزهد وما طبقوا كل شيء على كل واحد بنفس المستوى كما ذكرنا آنفاً أن القشيري نقل عن أحمد بن حنبل ثلاثة أوجه من الزهد وجعل ترك ما يشغل عن الله زهد العارفين. قال أحمد بن حنبل إن الزهد على ثلاثة أوجه ترك الحرام وهذا زهد العوام والثاني ترك الفضول من الحرام وهو زهد الخواص والثالث ترك ما يشغل العبد عن الله تعالى وهو زهد العارفين[٣].

والإمام الغزالي يذكر أيضاً هذا ويقول: والذي يرغب عن كل ما سوى الله تعالى حتى الفراديس ولا يحب إلا الله تعالى فهو الزاهد المطلق[٤].

صاحب اللمع أبو نصر السراج الطوسى يذكر طبقات الزهاد فيقول: إن الزهاد ثلاثة طبقات: المبتدئون، وهم الذين خلت أيدهم من الأملاك، وخلت قلوبم مما خلت منه أيدهم.

---

١ ــ عوارف المعارف عبد القاهر بن عبدالله السهروردى ص،٤٩٠ دار الكتاب العربى، بيروت، لبنان ١٩٨٣

٢ ــ التصوف طريقاً ومذهباً وتجربة ص، ١٠١.

٣ ــ الرسالة القشيرية، ص ٦٢.

٤ ــ إحياء علوم الدين ٢١٧/٣.

وفرقة منهم متحققون في الزهد. ووصفهم ترك حظوظ النفس من جميع ما في الدنيا، فهذا زهد المتحققين، لأن في الزهد في الدنيا حظ للنفس، لما في الزهد من الراحة والثناء والمحمدة واتخاذ الجاه عند الناس، فمن زهد بقلبه في هذه الحظوظ متحقق في زهده.

والفرقة الثالثة: علموا وتيقنوا: أن لو كانت الدنيا كلها ملكاً حلالاً، ولا يحاسبون عليها في الآخرة، ولا ينقص ذلك مما لهم عند الله شيئاً ثم زهدوا فيها لله عزّوجل، لكان زهدهم في شيء منذ أن خلقها الله تعالى ما نظر إليها، ولو كانت الدنيا تزن عند الله جناح بعوضة ما سقى الكافر منها شربة من ماء، فعند ذلك زهدوا في زهدهم وتابوا من زهدهم.[1]

بعد كل هذا هل الصوفية طلبوا بترك الدنيا كلية كما يزعم خصومهم أو لا؟ لا نستطيع أن نقول نعم لهذا السوال خاصة بعد ما رأينا التعريفات عندهم وما فهموا عن الزهد. الصوفية منعوا بعض الناس عن تناول بعض الأشياء ولكن هذا أولاً لا يشمل كل الناس بسبب اختلاف مستوياتهم في الطريق كما رأينا وثانياً لا يستمر دائماً بل كان لوقت محدد حتى يصل الصوفي إلى هدفه وهو التخلص من شهوات النفس والتقرب إلى الله وهنا تظهر علاقة الزهد بالمجاهدة النفسية.

قال الإمام الجنيد: أحب للمريد المبتدأ أن لا يشغل قلبه بهذه الثلاث وإلا تغير حاله التكسب وطلب الحديث(المقصود التحدث بين الناس لما فيه من السمعة وذريعة طلب الجاه ولاغترار) والتزوج. وهذا كما ظهر من كلامه للمبتدئين ولغرض معين وهو تربية النفس.و كما ذكرنا في البداية عندهم علاقة قوية بين الزهد وتزكية النفس. قال الإمام الغزالي: ومن الاختبار أيضاً أن تعزم على ترك لذة من اللذات تقرباً إلى الله تعالى وكسراً لصفة النفس فتأتيك عفواً صفواً لتمتحن بها قوة عقلك، فأولى الامتناع عنها فإن النفس إذا رخص لها في نقض العزم ألفت نقض العهد وعادت لعادتها ولا يمكن قهرها.[2]

وإذا عرفنا أن الدنيا عندهم كل ما يشغل عن الله نفهم لماذا أن الدرجة العليا ترك ما سوى الله تعالى. قال الجنيد لما سئل عن الدنيا ما هي؟ قال: ما دنى من القلب وشغل عن الله[3].

والصوفي الذي وصل إلى مرحلة العارفين قد يخرج من دائرة هذه القوانين. وجاء في كتاب جواهر المعاني أن لا بد على الإنسان أن لا يذم العارف إذا باشر الدنيا. "ولا تظن يا أخي أن العارف المتمكن إذا باشر الدنيا وزينتها هو من جملة (من كان يريد الدنيا وزينتها) إنه يريد الله برغبة المعرفة

---

١ ــ اللمع لأبي نصر السراج الطوسي ص ٧٢، ٧٣.

٢ ــ إحياء علوم الدين ٢٩٩.

٣ ــ المقامات ص،٦٢.

والشوق ويريد الدنيا للكفاف والعفاف ويرزقه الله حياة حسنة طيبة بأن يجعل الدنيا خادمة له ويبجله في أعين الخلق ويوقع هيبته في قلوب الناس".[1]

وأيضاً جاء في قوت القلوب وصف العارف الذي لا يضر كون المال في يده "وقد يصح الزهد للعارف في الشيء مع وجوده عنده إذا لم يقتنه لمتعة نفسه ولم يتملكه ويسكن إليه بل كان موقوفاً في خزانة الله عزّوجل، التي هي يده منتظراً حكم الله تعالى فيه ومحنة ذلك استواء وجوده وعدمه والمسارعة إذا رأى حكم الله تعالى إلى تنفيذه فيكون في ذلك كأنه لغيره من عيلته أو إخوانه أو سبيل من سبيل الله تعالى."[2]

ويرى الإمام الغزالي الوجود ليس مشكلة عند بعض الناس ويقول"فإذن قد انكشف بهذا التحقيق أن الفقر هو الأشرف والأفضل والأصلح لكافة الخلق إلا في موضعين: أحدهما غنى مثل غنى عائشة رضى‌الله عنها يستوى عنده الوجود والعدم، فيكون الوجود مزيدا له؛ إذ يستفيد به أدعية الفقراء والمساكين وجمع همهم.[3]

ولكن من يرى في نفسه رغبة كبيرة للدنيا هو ممكن أن يترك الدنيا تماماً حتى يصح من هذا المرض النفسي وهذا سلامة للضعيف للضعيف لضعفه.[4] عندما يجد المسلم تعلقه بالمال وتلذذه بجمعه والركون إليه، فليس خطأ أن يمنع نفسه عنها بأن يمارس نوعاً من البعد عنها، كي يعود نفسه على الإعراض عنها ويخفف من تعلقه بها. فالابتعاد عن المال في هذه المرحلة علاج قد يحسن استعماله بين يدي الوصول إلى الزهد الحقيقي، الذي هو فراغ القلب عن الانشغال بالدنيا. ولا غرو أن نفسية الناس تختلف من رجل إلى رجل وكل واحد يعرف نفسه أحسن من غيره.

ولا يتصور من الصوفي أن يترك الدنيا كلياً بعدما تبين أن الحاجات ليست من الدنيا يقول صاحب قوت القلوب بعدما شرح أن جملة الدنيا الهوى والشهوات يخرج الحاجات من ضمن الدنيا ويقول: "فعلمنا بنص الكلام أن الشهوة دنيا وفهمنا من دليله أن الحاجات ليست بدنيا لأنها تقع ضرورات، فإذا لم تكن الحاجة دنيا دل أنها لا تسمى شهوة[5]. وإذا فهمنا هذا يظهر أنه لم تكن هناك

---

١ ــ جواهر المعاني ص٤٤. أبو العباس سيد أحمد بن محمد المغربي

٢ ــ قوت القلوب، ص٤٩٨.

٣ ــ إحياء علوم الدين ٣/٢٠٥.

٤ ــ جواهر المعاني ص،٥٠.

٥ ــ قوت القلوب ص،٤٩١.

دعوة إلى ترك الدنيا كلية بل الدعوة إلى ترك الشهوات لا إلى الحاجات وأيضاً الإمام الغزالي يرى قدر الحاجة من الدين[1].

وكيف يتصور من الصوفية ترك الدنيا كلية ونحن نعرف كثير من الصوفية بأسماء حرفتهم.

والصوفيون لم يروا الدنيا بعينها محذورة بل لأجل أنها تمنع الإنسان عن الاشتغال بالله، أي شيء إذا شغل عن الحق فهو عدو حتى الفقر الذي كان يمدحه الصوفية في كتبهم كثيرا إذا كان يشغل الإنسان عن الحق فهو أيضاً مذموم. قال الإمام الغزالي: والفقر قد يكون من الشواغل كما الغنى قد يكون من الشواغل[2]. والمشكلة عندهم مع حب الدنيا لا مع الدنيا وإنما الشاغل على التحقيق حب الدنيا، إذا لا يجتمع معه حب الله في القلب والمحب للشيء مشغول به سواء كان في فراقه أو في وصاله، وربما يكون شغله في الفراق أكثر[3]. وهؤلاء يعرفون بالتجربة ماذا يفعل حب الدنيا بالناس وليس الخبر كالمعاينة. يقول الإمام المحاسبي: إخواني: إني وجدت الأصل الذي هو ضد الآخرة وأبلغ مكايد الشيطان في فساد الأمة، وتضيع حدود الدين. وجدته حب الدنيا، والتعظيم والعلو في الدنيا. وهو أصل البلايا ورأس الخطايا، ولذلك فرط ال عباد في كثير من حقوق الله تعالى وضيعوا من حدود الله الصلاة والصيام وسائر الفرائض وبحب المال والتعظيم تقلبوا في فنون الحرام والآثام واستهانوا بكثير من أمر الله ونهيه[4].

والدنيا عندهم أصلاً ليس معاني الذي يأتي إلى ذهن الناس عامة وهي عبارة عن المال والأكل والشرب. والدنيا عندهم أحياناً المال أحياناً يكون الجاه وأحياناً يكون حب الشهرة و.. وكله يرجع في النهاية إلى الهوى الذي يكون عائقاً عن الله تعالى[5].

وللدنيا عند الصوفية مفهوم خاص . قال الإمام المحاسبي: الدنيا منها ظاهر وباطن، الباطن منها اتباع الهوى الذي بطن في النفوس واتبعته القلوب. والظاهر منها الدينار والدرهم والثوب والدار والخادم والمركب ومثل هذا وأشباهه من متاع ظاهرها الذي يشين صاحبها ويقع به عن الآخرة[6].

لكي نفهم موقف الصوفية عن الدنيا بصورة دقيقة لا بد أن نضع أمامنا كل الاعتبارات التي ذكرت في البداية ومنها أنهم أحياناً يتكلمون عن الحالة التي غلبت عليهم أو يتكلمون حسب المخاطب الذي يوجه إليه الكلام. وإذا لم نفعل هذا واقتطفنا من هنا ومن هناك لا نستطيع أن نصل إلى الحقيقة

---

١ ــ إحياء علوم الدين ٣/٢٤٠

٢ ــ إحياء علوم الدين ٣/٢٠٢

٣ ــ السابق ٣/٢٠٢

٤ ــ الوصايا، الإمام المحاسبي، ص،٦٩

٥ ــ قوت القلوب، ص،٤٩٢

٦ ــ الوصايا، ص، ٢٤٨

عندهم.ومما يبين ذالك أن الإمام الحارث المحاسبي في كتابه الوصايا يذم العلماء الذين أحبوا الدنيا ورغبوا فيها والذين يأتون بحجة أموال بعض الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين لجمعهم الأموال بسبب أن يجري العالم وراء الدنيا مذموم. ولكن بعد قليل لما سئل عن الدنيا أجاب: ما أخذت من الدنيا للدنيا فهي الدنيا المذمومة، وما أخذت من الدنيا للآخرة فهي الدنيا المحمودة. وإذا كان أخذه لها من طريق المباح فيما لا بد منه، وفيه الفضل وصيانة الدين فهو من الدنيا وليس بمذموم[1].

والصوفية اشترطوا في الزهد شرط العلم حتى يصح لهم على ميزان الشرع، وحتى لا يدعي كل واحد الزهد في الدنيا وهو ليس بزاهد. يقول الإمام الغزالي: واعلم أنه ليس من الزهد ترك المال وبذله على سبيل السخاء والفتوة وعلى سبيل استمالة القلوب وعلى سبيل الطمع فذلك من محاسن العادات ولكن لا مدخل لشيء منه في العبادات، وإنما الزهد أن تترك الدنيا لعلمك بحقارتها بالإضافة إلى نفاسة الآخرة، فأما كل نوع من الترك فإنه يتصور ممن لا يؤمن بالآخرة، فذلك يكون مروءة وفتوة وسخاء وحسن خلق، ولكن لا يكون زهداً إذ حسن الذكر وميل القلوب من حظوظ العاجلة وهي ألذ وأهنأ من المال، وكما أن ترك المال على سبيل السلم طمعاً في العوض ليس من الزهد، فكذلك تركه طمعاً في الذكر والثناء والاشتهار بالفتوة والسخاء واستقلاله لما في حفظ المال من المشقة والعناء[2].

وهناك علامات لمن يرى نفسه زاهداً. وينبغي أن يعول في باطنه على ثلاث علامات:

١. أن لا يفرح بموجود ولا يحزن على مفقود كما قال تعالى: ﴿لكي لا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم﴾[3].

٢. أن يستوي عنده ذامه ومادحه.

٣. أن يكون أنسه بالله تعالى والغالب على قلبه حلاوة الطاعة[4].

الزهاد تفاوتوا أيضاً في السبب الذي دفعهم إلى الزهد. فمنهم من زهد إجلالاً لله تعالى، ومنهم من زهد حياء من الله تعالى، ومنهم من زهد خوفاً من الله تعالى، ومنهم من زهد رجاء موعود الله تعالى، ومنهم من زهد مسارعة منه لأمر الله تعالى، ومنهم من زهد حباً لله تعالى وهو أعلاهم وأدناهم[5].

---

١ ــ الوصايا ص،٢٤٩

٢ ــ إحياء علوم الدين ٣/٢١٩.

٣ ــ سورة الحديد ٢٣

٤ ــ إحياء علوم الدين، ٣/٢٤١.

٥ ــ قوت القلوب ص،٥٢٩.

**المعاني التي يشملها الزهد:**

كما ذكرنا من قبل أن الزهد عند الصوفية لا يبقى في معنى الزهد فقط بل يشمل أشياءا أخرى من الخير. قال الفضيل بن عياض: جعل الله شر كله في بيت وجعل مفتاحه حب الدنيا وجعل الخير كله في بيت وجعل مفتاحه الزهد[1]. ومن هذه الأشياء الصبر والشكر قالوا للزهري: ما الزهد؟ قال ما لا يغلب الحرام صبره ولا يمنع الحلال شكره. ومنها القناعة وكان الفضيل يقول: القناعة هو الزهد ومنها التواضع ومنها الورع.

الصوفية يدركون أن ما يطلبون لأنفسهم من ترك الدنيا قد يصعب على الآخرين من أجل ذلك لا ينبغي على الصوفي أن يرهق الناس في الزهد حتى أهله. قال أبو سليمان: لا ينبغي أن يرهق أهله إلى الزهد بل يدعوهم إليه، فإن أجابوا وإلا تركهم وفعل بنفسه ما شاء. معناه أن التضييق المشروط على الزهد يخصه ولا يلزمه.[2] لأن أصل زهدهم في فضول المباحات والزهد في هذا تطوع. ولكن لا ينبغي أن يجيبهم أيضا فيما يخرج عن حد الاعتدال.(السابق)

قال الإمام الرباني السرهندى لمن لا يستطيع أن يحقق ترك الدنيا كلياً فعليه الترك الحكمي. وهو لما يتكلم عن اتباع النبي صلى الله عليه وسلم وتركه أعداءه صلى الله عليه وسلم مثل الدنيا يقول: وحصول تلك المتابعة العظمى ليس بموقوف على ترك الدنيا بالكلية حتى يكون عسيراً بل إذا أديت الزكاة المفروضة فله حكم الترك وإن كان الترك الكلي أولى وأفضل منه ولكن أداء الزكاة يقوم مقامه[3].

ونقطة أخرى أحب أن أذكرها هنا بعد كلما ذكرنا من الحقائق، وذالك أن الزهد أصله في القلب، وما يذكر عن الصوفية من الإفراط في ترك اللذت الدنيا ليست من أصل الزهد بل هو من باب مجاهدة النفس وهذا قد يكون مقيدا بالزمان والمكان وهناك فرق بين زهد المبتدئين والواصلين.

هل لم يكن هناك أي تطرف او تشدد في باب الزهد؟ كما ذكر بعض الباحثين أن الصوفية غلوا في زهدهم. في الحقيقة ما رأيت في الكتب الأصلية التي تمثل علم التصوف وموقف الصوفية ما يمثل هذا النوع من التطرف ولكن هذا لا ينفى أن هناك بعض الأفراد الذين اعتبروا أنفسهم الصوفية لم يتطرفوا في مفهوم الزهد وهذا في الحقيقة لا يمثل موقف الصوفية بل يمثل مواقف هؤلاء المتطرفين المتشددين الشخصية. وهذا أمر طبيعي في جماعة كبيرة مثل الصوفية أن يظهر بعض المتطرفين مادام لا يوجد هناك قبول عام عند القوم. وهؤلاء الذين خرجوا عن دائرة الزهد الصحيح إنتقدهم الصوفية قبل كل أحد؛ شيخ أبو نصر السراج الطوسى فتح بابا واسعا في كتابه القيم "اللمع" لمن غلط

---

١ ـــ الرسالة القشيرية ص،٦٢

٢ ـــ إحياء علوم الدين، ٢٣٩/٣.

٣ ـــ المكتوبات الامام أحمد فاروق السرهندى ١/رقم المكتوب ١٦٥، مكتبة الفاتح، اسطنبول

في فهم الفقر والغنى، فيالتوسع وترك التوسع من الدنيا بالتقشف والتقلل، ومن غلط في الاكتساب وترك الاكتساب، والذين غلطوا في ترك الطعام...الخ.[1]

والنقطة الثانية أن ليس هناك حكم عام نستطيع أن نطبقه على كل واحد في مستوى واحد في مثل هذه الأمور لأن الذي يرى تطرفاً لواحد قد لا يكون تطرفاً لآخر. أن الذين يتهم الصوفية بالتطرف أكثرهم في مسألة اللباس والطعام. وجاء في جامع العلوم والحكم أن أبدان الناس ليست سواء وكان هناك بعض من السلف يطيق ما لا يطيق غيره. يقول صاحب الكتاب: وقد كان كثير من السلف لهم من القوة على ترك الطعام والشراب ما ليس لغيرهم ولا يتضررون بذلك وكان ابن الزبير يواصل ثمانية أيام، وكان أبو الجوزاء يواصل في صومه بين سبعة أيام، ثم يقبض على ذراع الشاب فيكاد يحطمها. فكان إبراهيم التميمي يمكث شهرين لا يأكل شيئاً غير أنه يشرب شربة حلوة. وكان حجاج بن فرافصة يبقى أكثر من عشرة أيام لا يأكل ولا يشرب ولا ينام. فمن كان له قوة على مثل هذه الأمور، فعمل بمقتضى قوته ولم يضعفه عن طاعة الله، فلا حرج عليه ومن كلف نفسه ذلك حتى أضعفها عن بعض الواجبات فإنه ينكر عليه ذلك[2].

والصوفية زهدوا في الدنيا اتباعاً للقرآن والسنة ومحبة للنبي صلى الله عليه وسلم وخير دليل على هذا أنهم لما تكلموا في الزهد ما تكلموا إلا اعتماداً على الكتاب والسنة وما استنبطوا منهما. ولقد اجتهدوا فإذا أصابوا كان لهم أجران وإذا أخطاؤا كان لهم أجر واحد. وفي الحقيقة أن من ينظر إلى حياة النبي صلى الله عليه وسلم وحياة الخلفاء الراشدين الذين جاء الأمر على اتباع سنتهم [عليكم بسنتي وسنة خلفاء الراشيدين المهدين من بعدي عضوا عليها بالنواجز]؟؟؟ لا يصل إلا إلى ما وصل إليه أصحاب التصوف.

وتركيزنا في هذا المبحث على أقوال الصوفية لا يعني أن العلماء من غير الصوفية لم يتكلموا عن الزهد بل كتب كثيراً عن الزهد ولكنه لم يخرج عن إطار الكلام الذي ذكره الصوفية. ذالك أن شارح الحديث والعالم الجليل بن رجب الحنبلي تكلم عن علاقة المؤمنين بالدنيا وقال: وهم منقسمون إلى ثلاثة أقسام: ظالم لنفسه، ومقتصد، وسابق بالخيرات بإذن الله. فالظالم لنفسه وهم الأكثرون منهم، وأكثرهم واقف مع زهرة الدنيا وزينتها، فأخذها من غير وجهها، واستعملها في غير وجهها، وصارت الدنيا أكبر همه وهؤلاء هم أهل اللهو واللعب والزينة والتفاخر والتكاثر وكلهم لم يعرف المقصود من الدنيا، ولا أنها منزل سفر يتزود منها لما بعدها من دار ا لإقامة، وإن كان أحدهم يؤمن بذلك إيماناً

---

١ – انظر اللمع (تحقيق د.عبد الحليم محمود و طه عبد الباقي سرور ) من ص.٥٢ وما بعده.

٢ ــ جامع العلوم والحكم، ابن رجب الحنبلي، ص،٥٦٨، جمعية إحياء التراث الإسلامية، ١٩٩٨

مجملاً، فهو لا يعرفه مفصلاً، ولا ذاق ما ذاقه أهل المعرفة بالله في الدنيا مما هو أنموذج مما ادخر لهم في الآخرة.

والمقتصد منهم أخذ الدنيا من وجوهها المباحة، وأدى واجباتها، وأمسك لنفسه الزائد على الواجب، يتوسع به في التمتع بشهوات الدنيا، وهؤلاء قد اختلف في دخولهم في اسم الزهاد في الدنيا، ولا عقاب عليهم في ذلك، إلا أنه ينقص من درجاتهم في الآخرة بقدر توسعهم في الدنيا. قال ابن عمر: لا يصيب عبد من الدنيا شيئاً إلا نقص من درجاته عند الله، وإذا كان عليه كريماً.

وأما السابق بالخيرات بإذن الله، فهم الذين فهموا المراد من الدنيا وعملوا بمقتضى ذلك، فعلموا أن الله إنما أسكن عباده في هذه الدار، ليبلوهم أيهم أحسن عملاً، وجعل ما في الدنيا من البهجة والنضرة محنة، لينظر من يقف منهم معه، ويركن إليه، ومن ليس كذلك، فلما فهموا أن هذا هو المقصود من الدنيا، جعلوا همهم التزود منها للآخرة التي هي دار القرار واكتفوا من الدنيا بما يكتفي به المسافر في سفره. وأهل هذه الدرجة على قسمين: منهم من يقتصر من الدنيا على قدر ما يسد الرمق فقط. وهو حال كثير من الزهاد. ومنهم من يفسح لنفسه في تناول بعض شهواتها المباحة، لتقوى النفس بذلك وتنشط للعمل.

وأهل الزهد في فضول الدنيا أقسام: فمنهم من يحصل له، فيمسكه ويتقرب به إلى الله كما كان كثير من الصحابة وغيرهم. ومنهم من يخرج من يده ولا يمسكه وهؤلاء نوعان: منهم من يخرجه اختياراً وطواعية ومنهم من يخرجه ونفسه تأبى إخراجه، ولكن يجاهدها على ذلك، ومنهم من يحصل له شيء من الفضول، وهو زاهد في تحصيله إما مع قدرته، أو بدونها[1]

١ ــ جامع العلوم والحكم، ص٣٩٣ــ٣٩٨ (بالاختصار).

## آثار الزهد على النفس والمجتمع

بعد ما عرفنا ماهية الزهد وأهميته نشير إلى بعض الآثار التى ينتجها الزهد في نفس الإنسان وفى المجتمع .

بعد ما يتحقق الإنسان بصفة الزهد نلاحظ أنه يتخلص من سجن الشهوات ويصفى نفسه من الأهواء كما يقول د.محمد مصطفى " إنه يجعل صاحبه في الجو الروحى الدينى حقيقة . تريدون عرض الدنيا والله يريد الاخرة، الأنفال ٦٧ ".[١]

ومن ناحية أخرى الإنسان يتخلص من الأمراض النفسية مثل الحرص والطمع وخاصة مرض العصر القلق الذى سببه الميل إلى الدنيا والتفكير في المستقبل ويكون مستريح نفسيا.

وحين يقول الزاهدون من المتصوفة إنهم شاعرون بالسعادة والراحة والغنى ونحو ذلك فإنهم لا ينمقون القول ولا يبالغون، لأن الثقة في الله إذا كملت أراحت النفس من هموم الغد وضمن الله للعبد رزقه مهما وقفت في طريقه العراقيل.[٢]

وينظر د.محمد مصطفى إلى التخلص من القلق من ناحية أخرى ويقول " إن له ( الزهد) أثرا كبيرا في التصفية، طريق المعرفة الصوفية، إذ يساعد على التخلص من القلق، وهو تشويش مصدره الوسواس والخواطر المتعلقة بالدنيا وشهواتها . وهو حكيم بنوه على تجربة عملية متأصلة للأحوال النفسية . ويقول ابن عربى: ولا يجتمع التجلى والشهوة في محل واحد فلهذا جنح العارفون والزهاد في هذه الدنيا إلى التقليل من نيل شهواتها " [٣]

والزهد ينتج في النفس روح التضحية في سبيل الله وفى خدمة المسلمين. وهذا يظهر في جهود الصوفية في نشر الاسلام وفى جهادهم في الرباط وأيضا فيما قدموه لخدمة الناس في المجتمع الإسلامى .

الزهد يجعل شخصية المسلم شخصية قوية ومعتدلة التى لا تهتز بالمصائب بإعتمادها على النعم والترف وهو يعرف كيف يتعامل بالعدم ويصبر ويتعامل بالوجود ويشكر ويعرف صاحب النعم ولا يكون مغرورا بما عنده من النعم.

وإذا جئنا إلى المجتمع نفهم مباشرة أن المجتمع الذى يتكون أفراده من الذين تخلوا عن شهوات الدنيا يصبح مجتمعا سليما وبعيدا عن الأمراض مثل الحسد والأنانية والتسابق في الحصول على الدنيا. وهذا المجتمع يكون متوحد في هدفه. ويكون خاليا عن الفتن التى سببها نقص العدالة الإجتماعية وعدم

---

١-علم التصوف، ص، ٧٩

٢-نشأة التصوف الإسلامى، ص،١٣١، د. ابراهم بسيون، دار المعارف بمصر، ١٩٦٩

٣-علم التصوف، ص، ٧٩

المساواة في تقسيم الثروة وعدم المبالاة في تفكير بأحوال الفقراء والمساكين. وفى هذا المجتمع الذى إنتشر فيه ثقافة الإنفاق لا يمكن أن يحكم النظام الإقتصادى العلمانى الذى يجعل الفقير أفقر والغني أغنى والذى يجعل عامة الناس فقراء، الفقر الذى يجعل الإنسان ينسى الله وعبادته وهو الفقر الذى استعاذ منه النبى صلى الله عليه وسلم: ( اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ الفَقْرِ وَالقِلَّةِ وَالذِّلَّةِ وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ أَنْ أَظْلِمَ أَوْ أُظْلَمَ)[1].

والزهد يجعل المجتمع خاليا من الأمراض التى سببها السعى وراء الشهوات.

والإسلام بدعوته إلى الزهد الذي لا يعزل الإنسان عن المجتمع لا يخلو المجتمع المطول بالنسيان والغفلة عن الزهاد الذين يذكرونهم بفناء الدنيا وبقاء الآخرة.

يقول صاحب اللمع "وجدت في كتاب لأبى سعيد الخراز، رحمه الله، يوصى مريدا أو صديقا له فيقول:يا أخى، خالص أصحابك مخالصة، وخالط أهل الدنيا مخالطة، شاهدهم بظاهرك، وخالفهم بفعلك، ودينك لا تثلب، إن ضحكوا فابك، وإن فرحوا فاحزن، وإن استراحوا فجد، وإن شبعوا فتجوع، وإن ذكروا الدنيا فاذكر الآخرة واصبر على قلة الكلام والنظر والحركة والطعام والشراب واللباس حتى يسكنك الله من الفردوس حيث يشاء برحمته.[2]

ومن الآثر المهمة أن الزهد ينشر الحب في المجتمع كما قال الرسول صلى الله عليه وسلم: ( ازْهَدْ فِي الدُّنْيَا يُحِبَّكَ اللَّهُ وَازْهَدْ فِيمَا فِي أَيْدِي النَّاسِ يُحِبُّوكَ)[3].

---

١- سنن أبي داود: كتاب الصلاة، باب في الاستعاذة، رقم الحديث: ١٥٤٤

٢-اللمع، ص، ٣٣٤.

٣-سنن ابن ماجه: كتاب الزهد: باب الزهد في الدنيا، رقم الحديث: ٤١٠٢

## الفصل الثاني

### الزهد: مفهومه ونشأته وتطوره في المسيحية.

المبحث الأول: الزهدفي المجتمع المسيحي الأول

المبحث الثاني: الزهد في عصر الآباء .

المبحث الثالث: الزهد والرهبنة

تطور الزهد إلى الرهبنة

المؤسسات الرهبنة مناهجهاوأسسها .

******

## المبحث الأول:الزهد في المجتمع المسيحى الأول

الزهد ظاهرة أو أساس لا بد منه في الديانات السماوية فكما قلنا في فصل الزهد في الإسلام إن مفهوم الزهد يمثل علاقة الإنسان بالعالم وبربه. وذلك المسيحية التى تزعم أن نبيها عيسى عليه السلام الذى عاش حياة زهدية كاملة لا يمكن أن تكون خالية من هذا الأساس.

ولكن هل النصارى الذين جاءوا بعد عيسى عليه السلام مشوا على خطه في الزهد أو لا؟ وإذا كان الزهد في المسيحية فما أسسه وقواعده؟ هل جاء في كتابهم المقدس ذكر الزهد؟ وهل هو مفهوم ثابت له أصوله أو هو متغير يتحول مضمونه وأشكاله من زمن إلى زمن ومكان إلى مكان. كل هذه الأسئله سنحاول أن نبحث عن أجوبتها بقدر ما نستطيع اعتمادا على المصادر والمراجع الموجودة عندنا خاصة من عند أنفسهم حتى يظهر لنا ما هو مفهوم الزهد كما فهم أصحاب الديانة المسيحية.

## الزهد في المجتمع المسيحى الأول

من الحياة الزهدية في المسيحية في المجتمع المسيحى الأول، لم تصل إلينا معلومات وافرة كافية غير الأناجيل الأربعة التى نستطيع أن نجد من خلالها على الأقل بعض أقوال عيسى عليه السلام.من أجل ذلك يصعب علينا أن نعطى صورة واضحة للزهد خلال هذه الفترة.

ولكن لا بد أن لا ننسى أيضا أن العهد الجديد غير موثوق في كتابته والإنجيل الأول متى يرجع كتابته إلى النصف الثانى من القرن الأول.[1]من أجل ذلك بعيد أن يعطى لنا معلومات دقيقة؛ ولكن ما لا يدرك كله لا يترك كله.

### عيسى عليه السلام

رسول الديانة المسيحية عيسى عليه السلام نعتبره أول زاهد في المسيحية. معلوماتنا القليلة عن حياته تشير إلى أنه عاش حياة زهدية ولما رفع إلى السماء لم يترك خلفه إلا أمه.

نحن لا نعرف تفاصيل حياة عيسى عليه السلام حتى نقيم عليها أحكاما ثابتة. لأن كما يقول شارل جينيبر:" هؤلاء الرجال الذين استمعوا لدعوة عيسى وآمنوا بها، ثم هالهم وأيأسهم تعذيبه وصلبه، وأعلنوا بعد ذلك بعثه، هؤلاء لم يشعروا البتة بالحاجة إلى تدوين ذكرياتهم أو رسم شعورهم عنه أنهم لم يفكروا في أن يكتبوا إلى أجيال قادمة كانوا على يقين من أنهم لن تأتى.[2]

ولكن لدينا نصوص من الأناجيل التى تشير إلى الزهد في الدنيا والمنع عن جمع الكنوز على الأرض وتذكر الناس باقتراب ملكوت السماوات. وهذه هى النصوص التى تشير إلى الحياة الزهدية في الأناجيل.

**«لاَ تَكْنِزُوا لَكُمْ كُنُوزًا عَلَى الأَرْضِ حَيْثُ يُفْسِدُ السُّوسُ وَالصَّدَأ، وَحَيْثُ يَنْقُبُ السَّارِقُونَ وَيَسْرِقُونَ. بَلِ اكْنِزُوا لَكُمْ كُنُوزًا فِي السَّمَاءِ، حَيْثُ لاَ يُفْسِدُ سُوسٌ وَلاَ صَدَأ، وَحَيْثُ لاَ يَنْقُبُ سَارِقُونَ وَلاَ يَسْرِقُونَ، لأَنَّهُ حَيْثُ يَكُونُ كَنْزُكَ هُنَاكَ يَكُونُ قَلْبُكَ أَيْضًا.** (متى ٦/١٩-٢١)

**«لاَ يَقْدِرُ أَحَدٌ أَنْ يَخْدِمَ سَيِّدَيْنِ، لأَنَّهُ إِمَّا أَنْ يُبْغِضَ الْوَاحِدَ وَيُحِبَّ الآخَرَ، أَوْ يُلاَزِمَ الْوَاحِدَ وَيَحْتَقِرَ الآخَرَ. لاَ تَقْدِرُونَ أَنْ تَخْدِمُوا اللهَ وَالْمَالَ. «لِذلِكَ أَقُولُ لَكُمْ: لاَ تَهْتَمُّوا لِحَيَاتِكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَبِمَا تَشْرَبُونَ، وَلاَ لأَجْسَادِكُمْ بِمَا تَلْبَسُونَ.** (متى ٦/ ٢٤-٢٥)

---

١-تاريخ الكنيسة ،جون لوريمر، ٨٣/١ دار الثقافة، مصر ١٩٨٢

٢-المسيحية نشأتها وتطورها شارل جينيبر، ط٣، ص٣٤، دار المعارف، القاهرة، مصر

وَأَقولُ لَكُمْ: إِنَّ مَنْ طَلَّقَ امْرَأَتَهُ إِلاَّ بِسَبَبِ الزِّنَا وَتَزَوَّجَ بِأُخْرَى يَزْنِي، وَالَّذِي يَتَزَوَّجُ بِمُطَلَّقَةٍ يَزْنِي». قَالَ لَهُ تَلاَمِيذُهُ: «إِنْ كَانَ هكَذَا أَمْرُ الرَّجُلِ مَعَ المَرْأَةِ، فَلاَ يُوافِقُ أَنْ يَتَزَوَّجَ!» فَقَالَ لَهُمْ:«لَيْسَ الجَمِيعُ يَقْبَلُونَ هذَا الكَلاَمَ بَلِ الَّذِينَ أُعْطِيَ لَهُم، [١٢]لأَنَّهُ يُوجَدُ خِصْيَانٌ وُلِدُوا هكَذَا مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِهِمْ، وَيُوجَدُ خِصْيَانٌ خَصَاهُمُ النَّاسُ، وَيُوجَدُ خِصْيَانٌ خَصَوْا أَنْفُسَهُمْ لأَجْلِ مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ. مَنِ اسْتَطَاعَ أَنْ يَقْبَلَ فَلْيَقْبَلْ (متى ١٩/ ٩-١٢)

وَإِذَا وَاحِدٌ تَقَدَّمَ وَقَالَ لَهُ:«أَيُّهَا المُعَلِّمُ الصَّالِحُ، أَيَّ صَلاَحٍ أَعْمَلُ لِتَكُونَ لِيَ الحَيَاةُ الأَبَدِيَّةُ؟» فَقَالَ لَهُ:«لِمَاذَا تَدْعُونِي صَالِحًا؟ لَيْسَ أَحَدٌ صَالِحًا إِلاَّ وَاحِدٌ وَهُوَ اللهُ. وَلكِنْ إِنْ أَرَدْتَ أَنْ تَدْخُلَ الحَيَاةَ فَاحْفَظِ الوَصَايَا». قَالَ لَهُ:«أَيَّةَ الوَصَايَا؟» فَقَالَ يَسُوعُ:«لاَ تَقْتُلْ. لاَ تَزْنِ. لاَ تَسْرِقْ. لاَ تَشْهَدْ بِالزُّورِ. أَكْرِمْ أَبَاكَ وَأُمَّكَ، وَأَحِبَّ قَرِيبَكَ كَنَفْسِكَ». قَالَ لَهُ الشَّابُّ: «هذِهِ كُلُّهَا حَفِظْتُهَا مُنْذُ حَدَاثَتِي. فَمَاذَا يُعْوِزُنِي بَعْدُ؟» قَالَ لَهُ يَسُوعُ:«إِنْ أَرَدْتَ أَنْ تَكُونَ كَامِلاً فَاذْهَبْ وَبِعْ أَمْلاَكَكَ وَأَعْطِ الفُقَرَاءَ، فَيَكُونَ لَكَ كَنْزٌ فِي السَّمَاءِ، وَتَعَالَ اتْبَعْنِي». فَلَمَّا سَمِعَ الشَّابُّ الكَلِمَةَ مَضَى حَزِينًا، لأَنَّهُ كَانَ ذَا أَمْوَالٍ كَثِيرَةٍ. (متى١٩: ١٦- ٢٢)

فَقَالَ يَسُوعُ لِتَلاَمِيذِهِ:«الحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّهُ يَعْسُرُ أَنْ يَدْخُلَ غَنِيٌّ إِلَى مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ! وَأَقُولُ لَكُمْ أَيْضًا: إِنَّ مُرُورَ جَمَلٍ مِنْ ثَقْبِ إِبْرَةٍ أَيْسَرُ مِنْ أَنْ يَدْخُلَ غَنِيٌّ إِلَى مَلَكُوتِ اللهِ!». فَلَمَّا سَمِعَ تَلاَمِيذُهُ بُهِتُوا جِدًّا قَائِلِينَ:«إِذًا مَنْ يَسْتَطِيعُ أَنْ يَخْلُصَ؟» فَنَظَرَ إِلَيْهِمْ يَسُوعُ وَقَالَ لَهُمْ:«هذَا عِنْدَ النَّاسِ غَيْرُ مُسْتَطَاعٍ، وَلكِنْ عِنْدَ اللهِ كُلُّ شَيْءٍ مُسْتَطَاعٌ».. (متى١٩: ٢٣- ٢٧، مرقس ١٠: ١٧- ٢٢، لوقا ١٨: ١٨- ٢٥)

وَقَالُوا لَهُ: «لِمَاذَا يَصُومُ تَلاَمِيذُ يُوحَنَّا كَثِيراً وَيُقَدِّمُونَ طِلِبَاتٍ وَكَذَلِكَ تَلاَمِيذُ الْفَرِّيسِيِّينَ أَيْضاً وَأَمَّا تَلاَمِيذُكَ فَيَأْكُلُونَ وَيَشْرَبُونَ؟» فَقَالَ لَهُمْ: «أَتَقْدِرُونَ أَنْ تَجْعَلُوا بَنِي الْعُرْسِ يَصُومُونَ مَا دَامَ الْعَرِيسُ مَعَهُمْ؟ وَلكِنْ سَتَأْتِي أَيَّامٌ حِينَ يُرْفَعُ الْعَرِيسُ عَنْهُمْ فَحِينَئِذٍ يَصُومُونَ فِي تِلْكَ الأَيَّامِ».(لوقا: ٣٣،٣٤،٣٥)

وَفِيمَا هُمْ سَائِرُونَ فِي الطَّرِيقِ قَالَ لَهُ وَاحِدٌ: «يَا سَيِّدُ أَتْبَعُكَ أَيْنَمَا تَمْضِي». فَقَالَ لَهُ يَسُوعُ: «لِلثَّعَالِبِ أَوْجِرَةٌ وَلِطُيُورِ السَّمَاءِ أَوْكَارٌ وَأَمَّا ابْنُ الإِنْسَانِ فَلَيْسَ لَهُ أَيْنَ يُسْنِدُ رَأْسَهُ». (لوقا ٩: ٥٧، ٥٨)

«لاَ تَخَفْ أَيُّهَا القَطِيعُ الصَّغِيرُ لأَنَّ أَبَاكُمْ قَدْ سُرَّ أَنْ يُعْطِيَكُمُ المَلَكُوتَ. بِيعُوا مَا لَكُمْ وَأَعْطُوا صَدَقَةً. اِعْمَلُوا لَكُمْ أَكْيَاساً لاَ تَفْنَى وَكَنْزاً لاَ يَنْفَدُ فِي السَّمَاوَاتِ حَيْثُ لاَ يَقْرَبُ سَارِقٌ وَلاَ يُبْلِي سُوسٌ لأَنَّهُ حَيْثُ يَكُونُ كَنْزُكُمْ هُنَاكَ يَكُونُ قَلْبُكُمْ أَيْضاً. (لوقا ١٢: ٣٢،٣٤)

وَسَأَلَهُ رَئِيسٌ: «أَيُّهَا المُعَلِّمُ الصَّالِحُ مَاذَا أَعْمَلُ لأَرِثَ الحَيَاةَ الأَبَدِيَّةَ؟» قَالَ لَهُ يَسُوعُ: «لِمَاذَا تَدْعُونِي صَالِحاً؟ لَيْسَ أَحَدٌ صَالِحاً إِلاَّ وَاحِدٌ وَهُوَ اللهُ. أَنْتَ تَعْرِفُ الوَصَايَا: لاَ تَزْنِ. لاَ تَقْتُلْ. لاَ تَسْرِقْ.

لاَ تَشْهَدْ بِالزُّورِ. أَكْرِمْ أَبَاكَ وَأُمَّكَ». فَقَالَ: «هَذِهِ كُلُّهَا حَفِظْتُهَا مُنْذُ حَدَاثَتِي». فَلَمَّا سَمِعَ يَسُوعُ ذَلِكَ قَالَ لَهُ: «يُعْوِزُكَ أَيْضاً شَيْءٌ. بِعْ كُلَّ مَا لَكَ وَوَزِّعْ عَلَى الْفُقَرَاءِ فَيَكُونَ لَكَ كَنْزٌ فِي السَّمَاءِ وَتَعَالَ اتْبَعْنِي». فَلَمَّا سَمِعَ ذَلِكَ حَزِنَ لأَنَّهُ كَانَ غَنِيّاً جِدّاً. فَلَمَّا رَآهُ يَسُوعُ قَدْ حَزِنَ قَالَ: «مَا أَعْسَرَ دُخُولَ ذَوِي الأَمْوَالِ إِلَى مَلَكُوتِ اللهِ! لأَنَّ دُخُولَ جَمَلٍ مِنْ ثَقْبِ إِبْرَةٍ أَيْسَرُ مِنْ أَنْ يَدْخُلَ غَنِيٌّ إِلَى مَلَكُوتِ اللهِ!». قَالَ الَّذِينَ سَمِعُوا: «فَمَنْ يَسْتَطِيعُ أَنْ يَخْلُصَ؟» فَقَالَ: «غَيْرُ الْمُسْتَطَاعِ عِنْدَ النَّاسِ مُسْتَطَاعٌ عِنْدَ اللهِ».

فَقَالَ بُطْرُسُ: «هَا نَحْنُ قَدْ تَرَكْنَا كُلَّ شَيْءٍ وَتَبِعْنَاكَ». فَقَالَ لَهُمْ: «اَلْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: إِنْ لَيْسَ أَحَدٌ تَرَكَ بَيْتاً أَوْ وَالِدَيْنِ أَوْ إِخْوَةً أَو امْرَأَةً أَوْ أَوْلاَداً مِنْ أَجْلِ مَلَكُوتِ اللهِ إِلاَّ وَيَأْخُذُ فِي هَذَا الزَّمَانِ أَضْعَافاً كَثِيرَةً وَفِي الدَّهْرِ الآتِي الْحَيَاةَ الأَبَدِيَّةَ». ( لوقا ١٨: ١٨- ٣٠)

و فى رسائل بولس الذى يعتبر مؤسس المسيحية الحديثة نرى أيضا التشجيع على العمل لملكوت الله والقناعة فى الدنيا و التحذير عن الحرص و شهوات الدنيا. و لكن ليس فيه إشارات تشجع الناس على الإعتزال عن المجتمع أو عدم الزواج ولكنه يرى عدم الزواج أصلح لمن يستطيع.

وَلَكِنْ أَقُولُ لِغَيْرِ الْمُتَزَوِّجِينَ وَلِلأَرَامِلِ، إِنَّهُ حَسَنٌ لَهُمْ إِذَا لَبِثُوا كَمَا أَنَا. وَلَكِنْ إِنْ لَمْ يَضْبِطُوا أَنْفُسَهُمْ، فَلْيَتَزَوَّجُوا. لأَنَّ التَّزَوُّجَ أَصْلَحُ مِنَ التَّحَرُّقِ.( رسَالَةُ بُولُسَ الرَّسُولِ الأُولَى إِلَى أَهْلِ كُورِنْثُوسَ ٧/ ٨-٩)

وهو يحذر عن الناس الذين يدعون إلى ترك الزواج وترك بعض الأطعمة.

وَلَكِنَّ الرُّوحَ يَقُولُ صَرِيحًا: إِنَّهُ فِي الأَزْمِنَةِ الأَخِيرَةِ يَرْتَدُّ قَوْمٌ عَنِ الإِيمَانِ، تَابِعِينَ أَرْوَاحًا مُضِلَّةً وَتَعَالِيمَ شَيَاطِينَ، فِي رِيَاءِ أَقْوَالٍ كَاذِبَةٍ، مَوْسُومَةً ضَمَائِرُهُمْ، مَانِعِينَ عَنِ الزَّوَاجِ، وَآمِرِينَ أَنْ يُمْتَنَعَ عَنْ أَطْعِمَةٍ قَدْ خَلَقَهَا اللهُ لِيُتَنَاوَلَ بِالشُّكْرِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَعَارِفِي الْحَقِّ. لأَنَّ كُلَّ خَلِيقَةِ اللهِ جَيِّدَةٌ، وَلاَ يُرْفَضُ شَيْءٌ إِذَا أُخِذَ مَعَ الشُّكْرِ، لأَنَّهُ يُقَدَّسُ بِكَلِمَةِ اللهِ وَالصَّلاَةِ. إِنْ ذَكَّرْتَ الإِخْوَةَ بِهذَا، تَكُونُ خَادِمًا صَالِحًا لِيَسُوعَ الْمَسِيحِ، مُتَرَبِّيًا بِكَلاَمِ الإِيمَانِ وَالتَّعْلِيمِ الْحَسَنِ الَّذِي تَتَبَّعْتَهُ. وَأَمَّا الْخُرَافَاتُ الدَّنِسَةُ الْعَجَائِزِيَّةُ فَارْفُضْهَا، وَرَوِّضْ نَفْسَكَ لِلتَّقْوَى. لأَنَّ الرِّيَاضَةَ الْجَسَدِيَّةَ نَافِعَةٌ لِقَلِيلٍ، وَلَكِنَّ التَّقْوَى نَافِعَةٌ لِكُلِّ شَيْءٍ.(رسَالَةُ بُولُسَ الرَّسُولِ الأُولَى إِلَى تِيمُوثَاوُسَ ٤/١-٨)

[٦]وَأَمَّا التَّقْوَى مَعَ الْقَنَاعَةِ فَهِيَ تِجَارَةٌ عَظِيمَةٌ. [٧]لأَنَّنَا لَمْ نَدْخُلِ الْعَالَمَ بِشَيْءٍ، وَوَاضِحٌ أَنَّنَا لاَ نَقْدِرُ أَنْ نَخْرُجَ مِنْهُ بِشَيْءٍ. [٨]فَإِنْ كَانَ لَنَا قُوتٌ وَكِسْوَةٌ، فَلْنَكْتَفِ بِهِمَا. [٩]وَأَمَّا الَّذِينَ يُرِيدُونَ أَنْ يَكُونُوا أَغْنِيَاءَ، فَيَسْقُطُونَ فِي تَجْرِبَةٍ وَفَخٍّ وَشَهَوَاتٍ كَثِيرَةٍ غَبِيَّةٍ وَمُضِرَّةٍ، تُغَرِّقُ النَّاسَ فِي الْعَطَبِ وَالْهَلاَكِ. [١٠]لأَنَّ مَحَبَّةَ الْمَالِ أَصْلٌ لِكُلِّ الشُّرُورِ، الَّذِي إِذِ ابْتَغَاهُ قَوْمٌ ضَلُّوا عَنِ الإِيمَانِ، وَطَعَنُوا أَنْفُسَهُمْ بِأَوْجَاعٍ كَثِيرَةٍ.( .(رسَالَةُ بُولُسَ الرَّسُولِ الأُولَى إِلَى تِيمُوثَاوُسَ ٦/٦-١٠)

وإذا جئنا إلى حياة حواري عيسى عليه السلام ونحن أيضا لا نعرف كثيرا عن تفاصيل حياتهم ولم يتبق لدينا معلومات يمكن الاعتماد عليها عن حياة أصحاب عيسى المبشرين، سوى الفصول الأولى من

مجموعات أعمال الرسل. وحتى هذه الفصول لم تصل إلينا إلا في نسخة تختلف كثيرا - وبصورة تدعو إلى الشك – عن النص الأول[1]

هناك بعض الحقائق لا بد أن نذكرها حول حواريين لكي نفهم حياتهم جيدا.

١- ان الحواريين كانوا يهودا سنجا بسطاء ليس لهم شان في قومهم، ولا يمتازون بثقافة كبيرة[2] ٢- كانوا ينتظرون ملكوت الله. العالم – عالم الظلم والخطأ ولذات الجسد – كان في عقيدتهم وشيك النهاية. وكانوا يترقبون بين لحظة وأخرى توقف الحياة البشرية وظهور المسيح المنتظر في السماء.[3]

٣- كانوا على يقين من أن عيسى النصارى هو المسيح الذى وعدت به إسرائيل.[4]

و بناء على هذا التصور الذى ينتظر انتهاء العالم البشرى لا يمكن هؤلاء أن يخرجوا عن دائرة الزهد. وهناك نص في الإنجيل يدل على أنهم كانوا يمشون على أمر عيسى عليه السلام الذى طلب من الشاب أن يبيع كل ما يملكه ويوزع على فقراء ثم يتبعه.

و كان المؤمنون كلهم متحدين معا، فكانوا يتشاركون في كل ما يملكون، ويبيعون أملاكهم ومقتنياتهم ويتقاسمون الثمن على قدر احتياج كل واحد منهم. (أعمال الرسل ٤٦-٤٥-٤٤/٢)

و ليس هؤلاء فقط بل كان المجتمع المسيحي الأول عموما على هذا الحال.

" فلم يكن فيهم محتاج لأن جميع من كان لهم حقول، أو بيوت كانوا يبيعونها ويأتون بثمنها، فيضعونه عند أقدام الرسل وهم يوزعونه على كل محتاج بقدر حاجته ... ومنهم برنابا كان يملك حقلا، فباعه وجاء بثمنه ووضعه عند أقدام الرسل." (أعمال الرسل ٣٤-٣٥/٤)

وهذه هى النصوص التى نستطيع أن نعتمد عليها في الزهد.

والمحرك الأول للزهد عند هؤلاء إنتظار ملكوت الله ورجوع عيسىعليه السلام. والمسيحيون كانو يعتقدون أن رجوع السيد سيكون إلى أورشليم. وعلى هذا الأساس، ورغم اتساع الاضطهاد في عهد هيرودس أغريباس، فقد بقى المسيحيون في اوريشلم.[5]

ولكن لا نرى في العصر الأول أي مثال نستطيع أن نعتبره أساسا للرهبانية التى ظهرت بشكل منظم منذ نهاية القرن الثالث وبداية القرن الرابع سواء كانت الرهبانية الاعتزالية الانفرادية أو الجماعية. لأن لم يأت أى خبر عن الجماعة المسيحية حتى بعد كارثة أورشليم في سنة ٧٠م. أنهم اعتزلوا عن المجتمع وذهبوا إلى الصحراء.

---

١-المسيحية نشأتها و تطورها، شارل جينيبر، ترجمة د.عبد الحليم محمود ص ٨٥

٢- السابق ص، ٧٢

٣- السابق ص،٣٤

٤- السابق ص،٣٤

٥- تاريخ الكنيسة، ٥٩/١

وفى المجتمع المسيحى الأول نستطيع أن نقول الداعي إلى الزهد حياة عيسى عليه السلام وأقواله وانتظار ملكوت الله. والزهد في ذلك الوقت بسيط وبعيد عن التقشفات القاسية والقوانين المجبرة.

## المبحث الثانى: الزهد في عصر الآباء

بسبب أننا لانرى من آباء الكنيسة من قادوا حركات الزهد في المجتمع المسيحى بعد انتهاء وقت الحواريين إلا في عصر تحول الزهد إلى الرهبانية سنتابع في هذا المبحث حركة الزهد عموما في المسيحية. وسنذكر الآباء إذا إقتضى المقال. وهذا المبحث يشمل الزهد من انتهاء عهد الحواريين إلى تحول الزهد إلى الرهبانية المنظمة في القرن الرابع.ولكن هذا التتبع لا يكون تتبعا دقيقا بسبب المشكلة التى ذكرنا آنفا وهى مشكلة المصادر حيث لم تصل إلينا كثير من المصادر من العصور الأولى.وهذه المشكلة ليست متعلقة بحياة الزهد فقط بل بكل التاريخ المسيحى كما يقول شارل جينيير في نصه الطويل " إن التاريخ المسيحي خلال القرون الثلاثة التى تكونت فيها الكنيسة-إذا قورن بأى فرع من فروع التأريخ العام في الفترة عينها -لا يحظى إلا بأدنى نصيب في الأسس المكتوبة الثابتة، فهو يقتصر في غالب الأمر على دراسة مؤلفات أهل الجدل أو الأنصار المتعصبين معتمدا على تصحيحها بروايات مشكوك في أمرها، تريد أن تكون تاريخية، ولكنها في الواقع قد حررت في عهود تبعد كثيرا عن الأحداث التى تناولها، والتى لا يكاد الناس يفهمون تسلسلها.[1]

من أجل ذالك أحيانا سننقل عبارات عامة. كما كان في هذا النص. تقول مارجريت سميث

" كل المسيحية في العصور الأولى كانت زاهدة بالفعل بمعنى الكلمة الأصلية هؤلاء الزهاد الأوائل كانوا رياضيين يحاربون ضد الدنيا، والنفس والشيطان.[2]

المسيحيون بعد انتهاء وقت الحواريين لم يخرجوا عن دائرة مفهوم الزهد الذى تشكل في حياة الحواريين. ولكن بدأت المشاكل في تكيف المسيحيين بالحياة الوثنية التى كان يعيشها معظم الشعب في الامبرطورية الرومانية.

يقول شارل جينيير "مسيحي العهد الأول استمروا على حالة الحواريين في انتظار المسيح وتأسيس مملكة الله وهم آمنوا أن نهاية العالم وشيكة الوقوع، وتطلعوا بآمالهم إلى يوم القيامة، فقل بطبيعة الحال اهتمامهم بواجبات وهموم الحياة الدنيوية.[3]

علاوة على هذا إنهم بسبب طبيعة الحياة الوثنية في المجتمع الرومانى ما استطاعوا في مشاركة الحياة المدنية من العادات والواجبات. وهذا أدى عند بعض المسيحيين إلى أنهم اتخذوا شعارا لهم من عبارة ترتليان المشهورة:إنى قد اعتزلت المجتمع.[4]

---

١-المسيحية، ص، ٢٥

2- *The Way of The Mystics* by Margaret Smith Sheldon Press London.

٣-المسيحية ص،٢١٠

٤- السابق ص، ٢١١

وظهر التعارض بين وجهات النظر في علاقات المسيحيين بالمجتمع مثلما ظهر في علاقتهم بالدولة. فهم لم يحترموا لهذا المجتمع على ما كان يتمسك به من آراء ثابتة ومن تقاليد بل ومن مبادىء.وكان رجل مثل ترتليان (الذى عاش في نهاية القرن الثانى وبداية القرن الثالث) يصور الزواج والتكاثرعلى أنهما ضعف يرثى له أمام الغرائز الجسدية، ولم يكن يجد خيرا إلا في القيم الروحية، مهاجما للملذات الدنيوية، محطما للفروق الأجتماعية، جامعا بين السيد والعبد في إيمان واحد، ملقياعلى سائر أوجه الحياة الدنيا بجماع احتقاره.[1]

جون لوريمر أيضا يشير إلى هذه المشكلة عندما يتكلم عن المشاكل الأخلاقية التى واجهت المسيحيين في القرنين الثانى والثالث فيقول"بدأ المسيحيون كأفراد يواجهون اتخاذ قرارات حاسمة فيعلاقتهم بهذا المجتمع. كيف يتعاملون يوميا مع الناس الذين يعيشون في مملكة أرضية بينما هم يعتبرون أنفسهم رعية ملكوت سماوى.

وفى هذه الحالة كان على المسيحى أن يتجنب بعض الأمور.

لا يستطيع الأطفال المسيحيون أن يتعلموا في المدارس العامة حيث يعلمون الفلسفة الوثنية.

كان من المشكوك فيه أن يذهبوا إلىالمستشفيات العامة حيت كان الكاهن يصلى لأسكولابيوس إله الشفاء عند اليونان.

كل مظاهر الفخفخة والزينة الشخصية رفضوها. فالنساء يجب ألا يكحلن عيونهن أو يصبغن خدودهن بالأحمر أو يتضمخن بالعطور. يجب أن تكون الملابس غير ملونة بل مجرد رداء أبيض للرجال والنساء على حد سواء. غطاء سرير ناعم لا يجلب النوم. الطاولة لا تحتاج إلى أرجل من العاج، ولا السكين إلىمقبض مرصع بالجواهر، فالرب يسوع لم يأت من السماء بطشت فضية ليغسل أرجل التلاميذ.[2]

ويرى د. شارل جينبير مثل هذه التصرفات السبب الأول الأساسى للاضطهادات على المسيحيين في نهاية القرن الثانى.[3]

يبدو أن منذ نهاية القرن الأول ضعف الانتظار لمملكةالله. لأنه لما ظهر حركة المونتانية بآسيا الصغرى بعد منتصف القرن الثانى الميلادى على يد رجل إسمه مونتانوس الذى أعلن تنبؤه عن رجوع المسيح إلى الأرض عند معموديته رحب كثيرون بكل قوة بهذا الإعلان. ولقد ساعد على ذلك الأمر الاحساس العام بعدم الرضى عن الكنيسة التى فقدت روح النبوة والملء الروحى الذى كان يميزها في الابتداء، كما كان هناك اعتقاد عام بأن نهاية العالم قد قربت.

---

١- المسيحية ص، ٢١٢

٢ تاريخ الكنيسة ص، ١/٣٩ -٤٠ بإختصار

٣ المسيحية ص، ٢١٣

انضمت إلى مونتانوس نبيتان، اسم الأولى بريسكا ومكسيميلا. ولكى يستعد المسيحيون لهذا المجيء الثانى أمرتهم النبيتان بالكف عن الزواج، وأن يزيدوا من أوقات الصيام ويمتنعوا عن شرب الخمر والأطعمة الشهية، واجتمع جمع غفير في فريجيا إنتظارا لرجوع الرب، حتىقيل أن أسقفا من سوريا قاد كل أعضاء كنيسته ليقابلوا المسيح في الصحراء ولكنهم ضلوا طريقهم وكانو على شفا الموت جوعا لولا أنقذتهم السلطات. وفى ٢٠٠م امتدت المونتانية إلى الغرب حيث قوبلت بترحاب في أوساط الكنيسة، واحترم الناس أتباعها لما تحلوا به من حياة الزهد والتقشف والاستعداد لمواجهة الاستشهاد بكل شجاعة. والدليل على ذلك أن ترتليان القرطجنى أحد آباء اللاتين إنضم إلى المونتانية فحذا حذوه الكثيرون.[١]

وإذا نظرنا إلى نهاية القرن الثاني نجد أن حياة الزهد في القرنين لم تخرج كثيرا عن الانتظار بملكوت الله. ولكن بدأ يظهر عدم الرضى عن الكنيسة الذى أدى إلى ظهور الرهبانية المنظمة. لا نستطيع أن نعتبر الاضطهادات من أسباب ظهورالزهد في العصرالثانى.فإنها وإن كانت من أحد الأسباس لم يكن السباب المباشر كما يرى بعض الباحثين. وفي العصر الثالث يبدأ مرحلة جديدة في مفهوم الزهد عند المسيحيين ونجد في هذا العصر وبعده أمثلة كثيرة عن أنواع الحياة الرهبانية من الهروب إلى الصحراء والكهوف إلى تشكيل مجتمعات رهبانية في الأديرة.

١- تاريخ الكنيسة ١/١٢٠، ٢١، ٢٢ بإختصار

## المبحث الثالث: الزهد والرهبنة

### تطور الزهد إلى الرهبانية:

فقد مرت كل الحياة المسيحية بل كل الحياة الدينية خلال القرن الرابع، بتيارات عميقة من الزهد المتشدد. والسبب في ذلك يرجع إلى نشأة الرهبنة المنظمة، وفتح أبواب الأديرة واسعة لترحب بكل مسيحي يرفض التراجع عن مثله أمام متطلبات الدنيا، ويبحث عن الوسيلة التي تمكنه من تسيير حياته عملا وفكرا حسب الأخلاق المسيحية الأصلية.[1]

في هذه المرحلة يعتبر هذا التحول كبيرا من ناحيتين: أولا أن الرهبانية أصبحت تلعب دورا كبيرا في المسيحية حتى يقال إنها أصبحت أكبر مؤثرة بين المؤسسات المسيحية.[2]

وثانيا: بدأ في الرهبانية تأثير الأفكار وعادات من المجتمع الذي انتشرت فيه المسيحية. وخرج الزهد من مفهومه البسيط والمركز على الأشخاص وأصبحت الرهبانية منظمة في الشرق والغرب.[3]

### الرهبانية

الرهبانية لغة مصدر صناعى من الراهب.وجاء في معجم الوسيط أنها التخلى عن أشغال الدنيا وترك ملاذها والزهد فيها والعزلة عن أهلها[4]. والراهب إسم فاعل مشتق من فعل رهب أى خاف وفزع . أى أن الراهب من خاف على خلاص نفسه وخلاص الآخرين، فعاش متميزا عن العالم في العالم ومن أجل العالم. يرادف هذه الكلمة بالعربية: المتوحد، الناسك والمتعبد.

أما التقليد الكنسى فيحدد الراهب من حيث وضعه الحياتى كما يلى:

أ- الراهب هو من يعيش حياة النسك والتوحد بعيدا عن العالم وضوضائه

ب- هو الذى يترك أهله وممتلكاته ممتنعا عن الزواج في سبيل الملكوت

ت- هو الذى يعيش ضمن حياة مشتركة تجمعه وآخرين

ث- وهو بصورة أعمق، من توحد مع ذاته، أى انتصر على ميوله المتعددة، وأصبح بسيطا خاليا من كل تعقيدات هذه الدنيا، فيسمو إلى الا تحاد بالله.[5]

---

١-المسيحية ص، ٢٤٤

2- *Christian Institutions* by Alexander V.G. Allen,Charles Scribners Sons 1887

3- *Christian spirituality* p.114 Edited by Mcginn and John Meyendorff Routledge and Kegan Paul London, 1986

4 - المعجم والوسيط – ص٣٧٦.

٥-الحياة الرهبانية تاريخها طروقها قيمها، الابوان يوسف قزي واميل عقيقي، ص، ٤٧ دير سيدة النصر، نسبية، غوسطا ١٩٩٥

نرى في هذه التعريفات تأكيدا على حياة الراهب معتزلاعن العالم وتاركا أهله وممتلكاته في سبيل ملكوت الله. عموما الرهبان عاشوا حياة إعتزالية عن مجتمعاتهم. ويخرج من هذه القاعدة الفرنسيسكان والدومنكان في الغرب كما سنرى في موقعه.

حركة الرهبانية تتميز بالتقشف والزهد وحرمان الجسد من كل وسائل الراحة واللذات حتى يمكن للنفس أن تحرر وتصل إلى السمو الروحى.[1]

**أسباب ظهور الرهبانية:**

في ظهور الرهبانية أسباب مختلفة لعبت أدوارا متباينة حتى نستطيع أن نقول: لكل فترة معينة سبب معين.

١ **الاضطهاد:** كما ذكرنا من قبل أن النصارى منذ نهاية القرن الثاني بدؤا يتعرضون للاضطهادات الكبيرة من قبل الامبراطورية الرومانية. وبلغ الاضطهاد ذروته في أواخر عهد الامبراطور دكلتيانوس مما جعل بعض المسيحين يفكرون في الهروب إلى الصحراء.[2]

يرى الدكتور حكيم أمين أن هذا من عوامل انتشار الرهبانية في حين يرى يرى غيره أنه السبب المباشر في هذا النسق من الحياة الزهدية.[3]

ويتصل بالاضطهاد أمر آخر كان من أسباب الرهبانية في نظر المسيحيين يقول المؤرخ المسيحي جون لوريمر: إنه بعد انقطاع الاضطهاد نمت الحاجة اللاشعورية عند بعض المسيحيين إلى نوع من الاستشهاد نظرا لما رأوه من تقدير واحترام لمن ماتوا شهداء ممن ظلوا أحياء بعد العذاب الذي قاسوه فقد نبتت الرهبنة من رغبة المسيحي في أن يكون شهيدا، وقد عرفت الرهبنة بأنها الشهادة الخضراء أو البيضاء التي حلت محل الشهادة الحمراء.[4]

ومن أهم هؤلاء الذين فروا إلى الصحراء بسبب الاضطهاد كان بوذا. كما ينقل عنه القديس انتينيوس أنه بعد ما ترك كل ماله لأخته وزوج أخته ذهب إلى الصحراء. وكان يريد أن يرجع بعد ما ينتهي الاضطهاد. ولكن بعد ما ذاق لذة الوحدة وعزوبة الانفراد والاختلاء مع الله آثر هجر العالم والانفرادية مثابرة على الصلاة والتأملات الروحية مدة ستين سنة.وتوفي عام ٣٤٣م. .[5]

٢ **عدم الرضا عن الكنيسة:** والغريب أنه بعد انتهاء الاضطهادات على المسيحية لم تنته الرهبانية بل زادت قوتها وانتشرت أكثر وأصبحت منظمة لها أسسها وقوانينها. ويرجع بعض المسيحيين هذا إلى اتفاق الكنيسة مع الدولة وأن تبتعد الكنيسة عن القداسة والتكريس. يقول

---

١-تاريخ الكنيسة، ١٣٠/٢

٢-الرهبانية المسيحية و موقف الإسلام منها د.أحمد عاى عجيبة، ط١ص،٨١ مصر ١٩٩٠

٣-تاريخ الكنيسة ١٣٤/٢

٤-تاريخ الكنيسة القبطية القس منسى يوحنا ص، ٧٣-٧٤ بالتلخيص مكتبة المحبة، القاهرة ١٩٨٣

٥-تاريخ الكنيسة ص٧٣/٢-٧٤ بإختصار

جون لويمر: وكان السبب الثالث لظهور الرهبنة وازدهارها الإحساس القوي في قلوب بعض الناس بأن الكنيسة فقدت القداسة والتكريس، وشعروا أن حياتهم الروحية لا يمكن أن تنمو إلا بعيدا عن الأوساط الكنسية، وما عليهم إلا أن يتركوها ويذهبوا كأفراد إلى الصحراء ليحيوا فيها حياة القداسة؛ إنهم لم يعلنوا إنكارهم للكنيسة، ولكنهم بعملهم هذا أدانوها. وكما قال "دوشيزن" كان الراهب نقدا حيا للمجتمع الكنسى". لقد برهن أنطونيوس بإنعزاله با لرهبانية، على أن الكنيسة القائمة – من وجهة نظره – لم تعد المكان الذى يعيش فيه شخص يريد أن يحيا حياة مسيحية حقيقية.[1]

ويزيد هذا الأمر وضوحا الكاتب المسيحي حبيب سعيد فيقول: وهناك عوامل أخرى أدت إلى النزعة الرهبانية إلا وهي انسياب روح الفتور في حياة الكنيسة، بعد أن اتسعت دائرتها، ودخلها أناس من ذوي الميول الفاسدة.[2]

---

١-تاريخ الكنيسة-جون لوريمر ١٣٥/٢

٢-الرهبانية المسيحية وموقف الإسلام منها ص، ٨٤-٨٥

## الطرق الرهبانية في الكنيسة

تقاليد أربعة في الكنيسة أعطت طرقا رهبانية عديدة ومتنوعة، كانت في أساس الحياة الرهبانية المسيحية في الشرق والغرب قديما وحديثا، وهى: التقليد المصرى، التقليد السريانى، التقليد الكبادوكى البيزنطى والتقليد الاتينى الرومانى.

### أولا-التقليد المصرى

فيه ثلاثة طرق:الطريقة التوحدية، الطريقة الجماعية والطريقة الجماعية-التوحدية.

### أ-الطريقة التوحدية

بدأت- بحسب التقليد الكنسى- مع القديس أنطونيوس الكبير الملقب بأبى الرهبان(٣٥٦-٢٥١).كان قد قرر الترهب حوالى سنة ٢٧٠ ميلادية، بعد سماعه في الكنيسة في نصاالإنجيل عن الشاب الغنى ودعوة المسيح في أن يبيع كل شيء له ويتصدق به على الفقراء فيكون ملكوت السموات من نصيبه (متى ١٩). فكان أن فعل ذلك بماله بعد أن أعطى أخته الصغرى حصتها من ميراث والده المتوفى. توغل في الصحراء طلبا للخلوة والوحدة: الأطار الأنسب للصراع مع الذات ولانتصار عليها في سبيل الاتحاد بالله. توفى عن عمر يناهز المئة وخمس سنوات.

تقوم الطريقة التوحدية على العيش وحيدا في القفر بعد التتلمذ على يد ناسك متوحد متمرس، وعلى تلقن مبادىء النسك والزهد منه. وهكذا كان للقديس أنطونيوس العديد من التلاميذ الذين تمرسوا على النسك بنصحه وإرشاده ومثله الحى المصلح.

ازدهرت الطريقة التوحدية هذه على أثر نشر سيرة القديس أنطونيوس التى كتبها البطريك أثناسيوس الأسكندرى المعاصر للقديس. مراده من كتابة هذه السيرة، جعل القديس أنطونيوس مثالا ودليلا حيا يحتذى به في السيرة النسكية. ترجمت هذه السيرة إلى اللاتينية واليونانية والسريانية، فكانت بذارا خصبا لنهج صالح اعتنقه العديد من طلاب الكمال المسيحى في أقطار الكنيسة الجامعة.

وهو كان يعيش في الصحراء ويسكن في قبر مهجور. وإتفق مع أحد أصدقائه على أن يحضر له خبزا بين الحين والآخر. وبجانب ذلك فقد إنقطع تماما عن العالم. لأن حياته إمتلأت بالصوم والصلاة.[1]

---

١-تاريخ الكنيسة ١٣٩/٢

**ب) الطريقة الجماعية**

تأسست هذه الطريقة على يد القديس باخوميوس سنة ٣٢٣ ميلادية. تبينت له فيها مخاطر وصعوبات الوحدة والعزلة التامتين. لذاء قرروا إنشاء نمط آخر من الحياة الرهبانية يفسح المجال لعدد أكبر من طلاب للإنخراط في سلوكها، إذ أن الطريقة التوحدية لم تكن تلائم الكثيرين.

تقوم الطريقة الجماعية على عيش مجموعة من الرهبان بعضهم مع بعض، ضمن إطار حياة مشتركة، أساسها الصلاة المشتركة والعمل المشترك والطعام المشترك، بينما تبقى لكل راهب قلايته الموجودة ضمن حرم الدير، يخلو إليها للصلاة الفردية والتأمل ومطالعة الكتب المقدسة. تربط هؤلاء الرهبان قوانين مؤلفة من( ١٩٤ ) بندا مستوحاة من الكتاب المقدس.[١]

**ج) الطريقة الجماعية-التوحدية:**

تأسست مع الأنبا باكل والأنبا شنودى وهى تتبنى الطريقتين السالفتين معا. تصبح فيها الحياة الديرية مرحلة ضرورية لتنشئة وتثقيف بعض النفوس التى تتوقف إلى حياة العزلة والتوحد.

**ثانيا-التقليد السريانى الأنطاكى**

بدأت الحياة الرهبانية في بلاد السريان على الطريقة التوحدية منذ القرن الرابع. وبدءا من القرن الخامس الميلادى، أخذت الطريقتان التوحدية والجماعتية تتعايشان في التقليد السريانى الأنطاكى.

تمتاز الرهبانية السريانية أولا، بالتقشف الصارم مثل النسك في العراء على طريقة القديس مارون الذى لم يكن يأوى إلى سقف تاركا جسده يتعرض لعوامل الطبيعة صيفا وشتاء، والنسك فوق عمود مع القديس سمعان العامودى أحد تلاميذ القديس مارون. يضاف إلى ذلك الإنحباس في المغارات والقبور وشقوق الأرض، أو في جوف شجرة، والعيش فقط من عشب الأرض. وتمتاز ثانيا بالاضطلاع بأعمال الرسالة والتبشير، فالنساك المتوحدون والرهبان الديريون لم ينفصلوا تماما عن العالم، بل سعوا إلى نشر الإيمان المسيحى.

هذه الميزة المزدوجة للحياة الرهبانية استمرت في الكنيسة الأنطاكية عامة وفى جميع البلدان والعصور.

---

١- الحياة الرهبانية ص، ٢١

**ثالثا-التقليد الكبادوكى البيزنطى**

وفيه الطريقة الباسيلية، نسبة إلى القديس باسيليوس الكبير أسقف قيصرية الكبادوك في آسيا الصغرى (تركيا حاليا). قرر الترهب سنة ٣٥٧ ميلادية فسافر إلى مصر مهد الحياة الرهبانية حيث تعرف على الطريقتين التوحدية والجماعتية. عاد إلى بلاده وأسس رهبانية جماعية مثالها الأعلىالجماعة المسيحية الأولى في أروشليم كما رواها الإنجيلى لوقا في كتاب أعمال الرسل.

قوام رهبانيته، الأعمال النسكية، والطاعة للرئيس، وخدمة القريب من خلال أعمال اجتماعية وإنسانية، مثل إنشاء المدارس والمستشفيات بالقرب من الأديار. (كل شيء في دائرة الدير لا يصل إلى المجتمعات).

**رابعا-التقليد اللاتينى الرومانى**

تعرفت أوربا القديمة على الحياة الرهبانية من خلال سيرة القديس أنطونيوس الكبير التى كتبها البطريك أثناسيوس الإسكندرى. يقال أن أول من مارس الحياة الرهبانية في روما هو القديس إرونيموس في القرن الرابع الميلادى. أسس فيها رهبنة نساعية ما لبث أن انتقلت فيما بعد إلى بيت لحم بالقرب من مغارة المهد. ومن الأوجه الساطعة في الغرب هو كسيانوس (٣٦٠-٤٣٥) الذى زار مصر وتتلمذ على يد نساكها ورهبانها، ثم عاد بعدها إلى دياره، وبنى ديرا في مرسيليا في جنوب فرنسا. نذكر أيضا القديس القديس مبارك الذى يعتبر هو أيضا من مؤسسى الحياة الرهبانية اللا تينية في دير مونتيى كسينى في إيطاليا في القرن السادس. قوانينه الرهبانية ما زالت، حتى يومنا هذا تلهم العديد من الرهبانيات المعاصرة.

هذه التقاليد الرهبانية المتنوعة، عاشتها الكنيسة في مؤسسات رجالية ونسائية متعددة. فكان في تاريخ الكنيسة، ولا يزال، منظمات رهبانية في الشرق والغرب، منها ما هو خاص ببلد أو كنيسة، ومنها ماهو مشترك في كل بلد وكنيسة. منها رهبانيات كبرى يعد أفرادها بعشرة الآلاف، ومنها رهبانيات تقتصر على دير أو أكثر. ومنها رهبانيات رسولية تبشيرية تهتم بأمور الإنسان في المجتمع، ومنها رهبانيات تقتصر الحياة فيها على الحياة في الأديار وعلى الصلاة والعبادة وحياة الزهد والإبتعاد عن العالم.[١]

---

١ -الحياة الرهبانية ص، ٢٣- ٢٤

## المؤسسات الرهبانية مناهجهاوأسسها:

بعدما أصبح الحياة الرهبانية حياة مشتركة إحتاج الرهبان إلى وضع قوانين التى ترتب حياة الرهبان من إحتياجاتهم الأصلية مثل الأكل والشرب واللباس إلى العبادات مثل الصلاة والصوم وقيام الليل ومنهج لكى يوصلهم إلى الى الهدف الذى وضعواه.وهذه القوانين تعطى لنا فرصة لمعرفة أصولهم في الأديار التى تقضى حياتهم ونستطيع ان نفهم من خلال هذه القونين حياتهم الزهدية.لأن هذه القوانين نماذج تطبيقية أكثر منها نظرية.

كما ذكرنا من قبل أن باخوميوس هو مؤسس الحياة الرهبانية المشتركة. بعد أن تمارس بالنسك، ابتنى أول دير في صعيد مصر سنة ٣٢٣، وأعطى جماعته مجموعة قوانين تنظم حياتهم اليومية من عمل وصلاة .يحاط الدير بسور تقوم في وسطه الكنيسة، ثم قلايات الرهبان الذين يعيشون في طاعة رئيس يساعده أحد الإخوة في الإرشاد الروحى.

عند موت باخوميوس ٣٤٦، كان قد بنى تسعة أديرة للرجال كما بنت أخته مريم ديرين للنساء.

قوانين باخميوس أثرت في الأدير الشرقية والغربية. وقد ترجم هيرونيمس قوانين باخميوس إلى اللاتينية. والقديس باسيليوس، مؤسس رهبانية القبادوقية، قام بزيارة لرهبان مصر سنة ٣٥٧ وأخذ الكثير من قوانينهم. والمتصوف الفرنسى يوحنا كاسيان إعتنق مبادىء الرهبنة الشرقية، بعد أن أقام بين هؤلاء الرهبان. وقد كتب في القوانين أمورا عمل بها في أوربا حتى ظهور القديس بندكتس(مبارك)فى القرن السادس.[1]

## قوانين الرهبانية

من المعروف أن الرهبانية تعتمد على ثلاثة أسس الفقر والعفة والطاعة . وهذه الأسس متفق عليها في الجماعات الرهبانية. من أجل ذلك ننظر إلى تفاصيل هذه الأسس حتى نعلم حقيقتها.

### الأساس الأول: الفقر

يقول صاحب كتاب الأدب الرهبانى: إن الفقر الذى هو من نذورك المقدسة، أيهاالأخ الحبيب، هو أساسها الأول والضرورى مطلقا لكل جماعة رهبانية . وذلك أمر ينتبه عليه إجماع الرهبان من أية جماعة كانوا ويقرره كلام الرب يسوع القائل " كل منكم إن لم يرفض كل ماله لايقدر أن يكون لى تلميذا (الوقاء٦)".[2]

---

١-دليل إلى قراءة تاريخ الكنيسة، الآب جان كمبى ص، ١٠٩-١١٠، دار المشرق، بيروت، ١٩٩٤

٢-كتاب الأدب الرهبانى، الأب المبارك كتابت الديرى اللبنانى ص،٢٢٩، دير مار انطونيوس، لبنان، ١٩٩٦

بما أنك فرد في الجماعة الرهبانية، لا يحق لك ان تملك شيئا ثابتا أومنقولا. ولا أن تصرف في شئ تصرف المالك له. أماالرهبانية في العموم، فلها أن تملك بما أنها جماعة.[1]

فى الرهبانية أساس الفقر شديد جدا حتى إنهم يذكرون " أن الرهبان الأقدمين كانوا إذا وجدوا عند الراهب الميت شيئا قد أخفاه حرموه الدفنة الكنسية، وأنكروا عليه القبر في مقابر الرهبان الفقراء."[2]

ويذكر كتاب الأدب الرهبانى مايجب نذر الفقر للرهبان.

أولا: أن لا تأخذ من الدين، ولا تقبل من غيره شيئا بنية أن تحفظه لنفسك أو توزعه على المساكين إلا بإجازة الرئيس .

ثانيا: أن لا تخفى شيئا مما عندك، ولو كنت تحرزه بإجارة الرئيس، لأن في اخفائه دليلا على إشفاقك إن يأخذه الرئيس منك، وفى هذا الاشفاق تجاوزا لنذرك الفقر، الذى يقضى عليك بداء الاختصاص.

ثالثا:أن لا تعقد شيئا من العقود التى تفترض حقا شرعيا: كإقراض المال واستقراضه، ولإيداع، والهبة والكفالة وأمثالها من المعاملات التى يكون معها الاختصاص.

رابعا: أن لا تخص بنفسك شيئا مما يحصل لك من اقتصادك في نفقة حددت لمعاشك أو لسفرك بل هو للدير دونك. وليس لك أن تتصدق به على المعوزين، لأن الحكم فيه للرئيس.

خامسا: أن لا تكون علة خسارة الدير أو للرهبنة بإتلافك شيئا من أمواله الثابتة أو المقولة .[3]

إن نذور الفقر في الرهبانية يعنى مطلق الفقر، الفرد لا يملك شيئا ولو كان من ماله . كما جاء في قوانين بندكت . أن الملكية الشخصية لا بد أن تقطع من جذورها في الدير.[4]

ويذكر في قوانين أغسطين أن شخصا ما إذا أحضر شيئا لأبنائه مما يفكر أنه محتاج إليه . هذا لا بد أن يعطى إلى الرئيس . وهو إذا أبقاه عنده خفية يعاقب بعقاب السارق.[5]

**الأساس الثانى: الطاعة**

وهو أيضا من الأسس المهمة حتى أن الأب المبارك يقول أن بعض الرهبانيات يكتفى بنذر الطاعة، يتضمن سائر النذور، ويضمن العمل بها.

---

١-كتاب الأدب الرهبان ص، ٢٣٠

٢- السابق ص، ٢٣١

٣- السابق ص،٢٣٠-٢٣٤ بإختصر

٤ chapter .XXXIII Benedictine orders chapter33

٥ chapter5-the Augustinian order-www.geocities.com/Athens/1534/relaug.com

والأب المبارك يرى في الطاعة ربط إرادة الراهب بإرادة الله، حيث لايريد إلاما يريده، ولا تريده إلا كما يريده هو. وذلك يجعل بينك وبين المسيح شبها قريبا من حيث أنه قصر أعمال حياته على إرادة أبيه هو.[1]

ليس في الطاعة ذل ولا هوان، بل شرف ومجد، لأن الراهب لا يطيع بشرا مثله، بل الله الذى يشاء أن يطاع في شخص الرئيس. ولذلك يقول القانون يجب على الراهب أن يتخذ رئيسه بمنزلة المسيح مع قطع النظر. فإذا أنت أطعت رئيسك بهذا الاعتبار فإنما تطيع المسيح. وما يضيرك أن يكون الرئيس دونك حسبا، أو علما، أو فضيلة، أو سياسة أو فهما.[2]

يقول صاحب الحياة الرهبانية: ونذرها من أجل ملكوت السماوات. هى سر وهبة، يولى هذا النذر قلوبنا حرية فريدة، فتتفرغ للعمل في سبيل ملكوت الله، موجهين كل قوى المحبة فينا إلى الله والقريب.[3]

**الأساس الثالث: العفة**

والعفة عند الرهبان من الفضائل الكبيرة كما يقول الأب مبارك مخاطبا للرهبان ما أسعدك لتقيدك بهذا النذر ويا لغبطتك إن توفرت على صونه من الأذى فإن ذلك به شرفا لا يضاهيه شرف تحت السماء كيف لا، والطهارة بنت السماء، فضيلة الملائكة، فضيلة الرب يسوع، فضيلة أبويه مريم ويوسف الطاهرين، فضيلة تصل الأرض بالسماء والإنسان بالملاك. وهى كما الحياة الأرضية ومبتدء الحياة السماوية.[4]

ولكى يحافظوا على هذا النذر وضعوا قوانين أخرى .

- ولا يمس أخاه إلا عند الوداع أواللقاء.
- لا بد أن يعتزل النساء حتى الأهلين.
- لا بد أن يقطع بكل سبب يؤذى الطهارة.
- وعلى الراهب أن يتأمل في طهارة الرب يسوع، ونقاء قلبه، ومسمعه، ولسانه، وناظريه.
- لا بد أن ينام كل واحد بوحده . ولا بد أن يشتعل النور إلى الصباح ولا ينام الشباب إلى جانب الشباب.

---

١- كتاب الأدب الرهباني ص،٢٤٦

٢- السابق ص، ٢٥٠

٣- الحياة الرهبانية، ص، ٥١

٤- الأدب الرهباني ص،٢٦٥

- لا بد أن لا ينظر إلىالنساء ولولم يعرفه أحد لا بد أن يعرف إن الله يراه.
- من يتراسل مع النساء أو يأخذ منهن هدايا لا بد أن يعاقب بطريقة شديدة.[1]

وعلاوة على هذه الأسس هناك قوانين التى تنظم الحياة الإجتماعية والعبادية والعملية والأخلاقية، نذكر بعضها.

بعض الأمثلة في قوانين بندكت:

١. لا بد أن يحب الله بكل قلبه، ثم جاره كما يحب نفسه.
٢. لا بد أن لا يسرق، لا يزنى ولا يقتل ولا يشهد شهادة الزور.
٣. لا بد أن يحب الصوم ومساعدة الفقير وزيارة المريض.
٤. أن يصدق في كلامه
٥. أن لا يأكل كثيرا
٦. أن لا يكون كسلان
٧. أن يتوكل على الله .[2]

قوانين في مسألة الطعام:

كل يوم يطبخ نوعان من الطعام، ولكن لا يأكل اللحم إلا المريض. ولا يتشددون في مسالة الطعام على الشيوخ والأولاد.[3]

اللحم لا بد أن يعطى للمريض حتى يصح وللضعيف حتى يقوى ولكن للرهبان العاديين يمنع أكل اللحم.[4]

وفي نظام باخوميوس قدم الطعام العادى عموما للرهبان. ولكن من كان يريد أن يمتنع عنه بإرادته كان يشجع على عمله. ولكن يترك في حجرته الخبز والماء والملح فقط.[5]

ويرى البطالة عدو الروح، من أجل ذلك لا بد أن يعمل كل واحد في وقت محدد. لا بد أن يعملوا ويعيشوا بما كسبو كما فعل الحواريون .[6]

وأصحاب الصناعة يسمح لهم أن يعملوا إلا أذا كان هذا سببا لفخرهم.[7]

---

1 Augustine, chapter4 http://www.ccel.org/b/benedict/rule2/rule.html. Dated August 25 2005.
2 See chapter 4, benedictine order http://www.ccel.org/b/benedict/rule2/rule.html. Dated August 25 2005
3 Chapters 37-9 http://www.ccel.org/b/benedict/rule2/rule.html. Dated August 25 2005
4 Chapters 36 http://www.ccel.org/b/benedict/rule2/rule.html. Dated August 25 2005
5 For the life of saint pachomius see www.nevadvent.org/cathen/11381.htm
6 Chapter 39 http://www.ccel.org/b/benedict/rule2/rule.html. Dated August 25 2005
7 Chapter 37 http://www.ccel.org/b/benedict/rule2/rule.html. Dated August 25 2005

وفى الأيام الخاصة هناك اهتمام أكثر بالصلوات وترك الطعام والشراب.[1]

الذى يقبل في الرهبانية إذا كان عنده شيئا من المال لا بد أن ينفق هذا على الفقراء أو يعطى إلى الدير.[2]

والخروج من الدير ليس جيدا للأرواح. من أجل ذلك لا بد أن يؤسس الأديار في أماكن بعيدة عن الحياة. والذى يخرج إلى الخارج لا بد أن لا يحكى ما رآه في الخارج إلى أصدقائه.[3]

ولا يستطيع أحد أن يأكل في الخارج إلا أذا سمح له الريئس.

الحياة اليومية للرهبان تنقسم إلى ثلاثة أقسام .

١. العبادة worship تستغرق أربع ساعات ونصف الساعة .
٢. Manual works ويستغرق بين ستة أوسبعة ساعات.
٣. القراءة ودراسة الكتاب المقدس وآباء الكنيسة ويستغرق من ثلاث إلى أربع ساعات.[4]

فى قوانينهم هذه على الرغم كل تحديد في حياتهم لا نرى التقشف القاسى وتعذيب الجسد الذى نسمع عنه عن بعض الرهبان. والسبب في هذا ربما لأجل أن هذه القوانين وضعت للمبتدئيين. ولكن ما كان هنالك منع لمن يريد أن يعيش حياة قاسية.والتقشف كان سمة خاصة للكبار في الطريقة الرهبانية لأن في الحقيقة عندهم تبرير للحياة القاسية. وهو صلب عيسى عليه السلام وما عانى من المصائب في صلبه. تقول دانيل عون في كتابها عن تاريخ الراهبات الباسليات "وبما أن هدف الحياة الرهبانية أن يبلغ أسمى درجات الكمال المسيحى فإن ذلك لا يتم إلا بنظام قاس. وبالفعل فإن القديس باسيليوس يقسو من خلال قوانينه المختصرة والمطولة على الرهبان ويدعوهم إلى السيطرة على أنفسهم بالشدة والحرمان ( ويكملوا في أجسادهم ما نقص من آلام السيد المسيح)(كولسى١-٢٤).[5] حتى نرى عند الراهبات من تشير إلى هذا. تقول الراهبة الباسيلية قبل تأدية نذورها الرهبانية "وأمارس التقشف والإماتة التى تأذن لى بها الطاعة.[6]

وفى الحقيقة أن التقشفات القاسية كانت أهم ما تميز الرهبانية الشرقية عموما عن الرهبانية الغربية. رغم أن في هذا الكلام نظر. ربما هذا الكلام صحيح في بعض الرهبنات أو في فترة زمنية. لأننا نرى مثلا الحياة التى كان يعيشها القديس فرنسيس. وهو إختار الفقر المطلق مثله الأعلى وبدل ملابسه برداء الناسك وسار حافى القدمين. وكان يعيش على صدقات الناس.

---

1-Chapter 49 http://www.ccel.org/b/benedict/rule2/rule.html. Dated August 25 2005
2-Chapter 58 http://www.ccel.org/b/benedict/rule2/rule.html. Dated August 25 2005
3- Chapter 66-67 http://www.ccel.org/b/benedict/rule2/rule.html. Dated August 25 2005
4-*History Of Christianity In The Middle Ages*, p.26
http://www.ccel.org/b/benedict/rule2/rule.html. Dated August 25 2005

٥-تاريخ الراهبات الباسيليات الشويريات فى مرحلتها التوحيدية-دانيال عون ص.٨٦

٦-نفس المصدر ص.٨٩

ولكنهم مع الدومنكان عارضوا نظام الرهبنة الذى يعزل الرجال والنساء عن العالم والمجتمع الإنسانى. وكان الفرنسيسكان يقيمون بيوتهم في أردأ أحياء المدن -فكان الفرير في لندن يقيمون في زقاق ستكنج ومن هناك قاموا بخدمة الفقراء، والبرص وغيرهم ممن لفظهم المجتمع ممن لم تكن لهم صلة بالكنيسة.[1]

١ نشأة الطوائف فى المسيحية ص٧٦-٧٧ بإختصار

# الفصل الثالث

## الزهد: مقارنة بين المسيحية والإسلام

- أصول ومناهج الزهد في الإسلام والمسيحية
- مصادرالزهد في الإسلام والمسيحية
- أهداف الزهد في الإسلام والمسيحية

*******

## المبحث الأول: الأصول ومناهج الزهد في الإسلام والمسيحية

معرفة أصول الزهد(أو فلسفة الزهد) تقودنا إلى محاولة الإجابة عن بعض الأسئلة الحيوية التي تعطي معنى لحياة الإنسان في الدنيا . لماذا خلق الله الإنسان والكون . وما وظيفة الإنسان في العالم .

إن الله خلق الكون والإنسان لغاية؛ قال تعالى﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾[1]

﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾[2]

والإنسان خلق للامتحان وفي النهاية لا بقاء في الدنيا وانما يكون الرجوع إلى الله تعالى. قال تعالى ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾[3]

وغاية الإنسان غاية أخروية أكثر منها الدنيوية. رغم أنه لم يطلب منه ترك العالم لكي يحقق غايته الأصلية إنما طلب منه أن يسعى لتحقيق أهدافه الأخروية في كل مكان وزمان. وهو مأمور في كل أعماله أن لا يكون غافلا عن الله ومأمور بذكر الله كما شرحنا ذلك في باب الزهد.

وهو لا يحقق هذا الهدف إلا بطريقة رسمها الله له وهي طريقة تزكية النفس.

قال تعالى ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا﴾[4]

﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى﴾[5] (الاعلى -١٥-١٤)

لحياة الإنسان جوانب كثيرة .ولكن هناك جانبان أساسيان يشكلان جميع تصرفات الإنسان. هما عبودية الأنسان وخلافته في الأرض.

قال الله تعالى﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾[6]

﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾[7]

---

١ – سورة هود، ٧

٢ – سورة الأنعام، ١٢٥

٣ – سورة المؤمنين، ١١٥

٤ – سورةالشمس، ٧-١٠

٥ – سورة الاعلى -١٥-١٤

٦ – سورة الذاريات،٥٦

٧ –سورة البقرة،٣٠

وهو في العبادة مطلوب أيضا بتحقيق الإحسان كما جاء في حديث جبريل سئل الرسول صلى الله عليه وسلم ما الإحسان وقال أن تعبد الله كأنك تراه وإن لم تكن تراه فإنه يراك وهنا يحتاج الإنسان إلى تزكية النفس لكى يصل إلى هذه المرتبة العالية من التعبد.والعبد لايكون في الحقيقة عبدا، حتى يكون حرا من جميع ماسوى الله عز وجل، فعند ذلك يكون في الحقيقة عبدا لله.[1]

وفى الخلافة مرة أخرى يحتاج إلى تزكية النفس كما قال الشيخ راغب الأصفهانى. وإنما لم يصلح لخلافة الله تعالى إلا من كان طاهر النفس، لأن الخلافة هى الاقتداء به على طاقة البشر في تحرى الأفعال الإلهية. ومن لم يكن طاهر النفس لم يكن طاهر القول.[2]

من أجل ذلك نرى تشدد الصوفية في محاربة الدنيا وشهواتها لأنها في النهاية محاربة النفس لتزكيتها.

ومن هنا نفهم أن الطريق في الإسلام كلها في النهاية ترجع إلى تزكية النفس وتزكية النفس لا تتحقق إلا بترك شهوات الدنيا. وأصول الزهد في الإسلام تعتمد على مفهوم صحيح في الله وفى الكون والإنسان.

والزهد في النهاية يرجع إلى أصل الأصول في الإسلام وهو التوحيد. والتوحيد هو أساس الإسلام من آدم عليه السلام إلى محمد صلى الله عليه وسلم . وهو توحيد الله في القول وفى القلب. وتوحيد الله في القلب لا يتحقق بالمعنى الكامل إلا إذا أخرج الإنسان محبة كل شئ سوى محبة الله وكل شيء يشغله عن ذكرالله ولا يرغب في أى شئ سوى الله تعالى. وهو كيف يكون موحدا حقيقيا وفى قلبه رغبة في هوى النفس وشهوات الدنيا.

من أجل ذلك نرى في كتب التصوف تحليلات الزهد في النهاية يرجع إلى الزهد في كل شئ سوى الله .

و إذا جئنا إلى المسيحية الأمر يختلف تماما.

نظرة المسيحية في الخلق لايختلف عن نظرة الإسلام الذي يقول إن الله خلق العالم بعدما كان معدوما وعلاقة الإنسان بالخالق يتحقق في إخضاعه لإرادة الله.[3]

ولكن بعد صلب عيسى عليه السلام(حسب زعمهم) بدأ يتركز كل المفاهيم والتفسيرات على عيسىعليه السلام. وهو بالطبع أخذهم في شرح الزهد إلى نفس للأصل.

---

١ -اللمع ص ٥٣١.

٢ كتاب الذريعة إلى مكارم الشريعة، راغب الإصفاهانى، ص، ٩٦

3 *Christian Spirituality* Edited by Mcginn and John Meyendorff Rutledge and Kegan Paul London p.23.

والمعنى الذي أعطي لوجود الإنسان كانت نظرة إنجيلية التي تعتمد على الأخروية. وهذه الأخروية كان في مركزها المسيح عيسى عليه السلم. والمسيح بتقبله أن يصلب أعطى لهذه الحقيقة الأخروية بعد الألم والتواضع والخدمة كطريقة إلى المجد. من أجل ذلك أصبح الصليب وموت المسيح أساس الروحانية المسيحية. ومن هنا تبلور أن الطريق إلى الله يمشي من خلال الألم والتواضع والخدمة. وهذا يجعل كل نصراني يقبل لنفسه صلب ابن الله، القبول الذي يستطيع أن يؤدي إلى الموت والشهادة.[1]

وهذا الاعتماد على المسيح كان يظهر في كل حياتهم. كما رأينا في حركة المونتانية كانوا يتركون الزواج والتلذذ بلذات الدنيا لاجل استقبال المسيح.

وبمرور الزمن بدأ انتظار المسيح يتغير. ونرى في وقت اورجانيوس أصبح تقرب إلى الغنوصية وهو كان يريد من الإنسان الذي يريد إن يتحد بالكلمة يتخلص عن الشهوات وفهم هذا الأمر في معنى الأفلوطيني الذي يرى التعارض بين الروح والمادة وبين الروح والجسد وأصر على الزهد الذي كان يشتمل على التبتل وعفة الجسد مع الممارسات الأخرى. ومن أجل ذلك خصى نفسه.

وهذه الروح الغنوسية الثنائية مع حركة مثلها وهي المانية رغم معارضة النصارى استمرت إلى عصر الاصلاح باعتراف المسيحيين. " غير أن الفرق بين الرهبانية الكاثولكية والغنوسية والمانية في وجهة النظر إلى العالم أن الثنائية الوثنية كنت لها أثر كبير على التنسك والرهبانية في الشرق. ولم يتغلب عليها إلا في عصر الإصلاح.[2]

وطبعا هذا الفرق في الأصول يؤثر في المناهج. إن مفهوم الزهد في الإسلام الذي يتعلق بخلافة الإنسان في الأرض يجبره أن يكون متصالا بالعالم والناس. الإنسان الزاهد الذي يخرج الدنيا من قلبه يكون مستعد للتضحية وخدمة المجتمع. ولكن يجهز نفسه لهذا العمل أحيانا حسب طبيعته بطرق التربية المختلفة. وهذه التربية قد تتطلب منه ترك الدنيا في فترة معينة. من أجل ذلك نرى ترك الزاهد الدنيا مرحلية لا منهجية. وفى هذه التربية نرى طريقا موصلا إلى الهدف. وهو طريق المقامات التى لا تستطيع الصوفى قطع مرحلة من مراحلها إلا بعد إكمال مقتضيات هذه المرحلة بإرشاد شيخ عالم بالكتاب والسنة وأحوال النفس وأمراضها ورغباتها في الدنيا.

وإذا نأتى بمثال كيف كان الزهد يجعل الزهاد والمتصوفة نستطيع أن ننظر إلى الحركة السنوسية كأقرب مثال إلينا. وهؤلاء كانوا يتميزون بالزهد. يقول د.أحمد محمد بيومى"ولكن الفارق الأساسى هو إتجاه الممارسات السنوسية قد نشطت وظهرت في الإتجاه الأصلى للتصوف

---

1 *Christian spirituality*, p. 24
2 *History Of The Christian Church*, p.22

المبكر(الزهد)فى الإسلام.[1] وهو بعدما يذكر دورهم في نشر العلم(ليس فقط العلوم الإسلامية بل العلوم الزراعية وصناعة الأسلحة...إلخ)وتشجيعهم للتجارة ودورهم في إصلاح المجتمع ودفاعهم عن الوطن يقول "وهكذا فإن الهدف الأساسى للزوايا هو هدف مزدوج أعنى هدف روحى وهو ممثل في التعليم الدينى والأعمال الخاصة بنشر الدعوة إلى مختلف الأقاليم الأخرى والهدف الآخر مادى يتمثل في البرامج الإجتماعية والإقتصادية التى حملتها الزوايا في هذه الأقاليم.[2]

إجابة القائد الرابع للسنوسية إلى سؤال عن أسباب هجومه ضد ايطاليا يلخص لنا ما قلناه عن الزهد إلى الآن "إن السنوسية تهدف فقط التقوى وطهارة القلب، وكيف يمكن الوصول إلى ذلك؟ إن الوصول إلى ذلك عن طريق إبعاد كل شيء ما عدا الله من أفكارنا بواسطة الإعتدال وبواسطة التقشف عن كل المتع التى لاتقربنا إلى الله، إنك يجب أن تكون عبدا لا لشيء سوى الله، يجب أن تكون سيد الظروف والحضارة التى جلبها الإطاليون لنا في برقة لتجعلنا عبيدا للظروف.[3]

ومثالا آخر في الموضوع د.عبدالرحمان بدوى عندما يذكر جهود الطرق الصوفية في نشر الدعوة الإسلامية ونجاحها في إفريقيا يقول "ومرد هذا خصوصا إلى اختلاط الصوفية بالطبقات الشعبية في هذه البلاد وعيشهم بين العمة والفقراء، مما أبدى لهؤلاء نماذج حية تتصف بالتقوى والصلاح، إلى جانب ما تقوم به هذه الطرق من خدمات إجتماعية وألوات من البر والإحسان والموساة والمؤخاة.[4]

ولكن في المسيحية المنهج هو الإعتزال عن العالم. ورغم أنهم يدعون الخدمة وهى كانت محددة بمن كان في الدير ومن يستطيع أن يصل إلى هذه الأماكن البعيدة عن المدن. وما خدمو الناس بمعنى الكلمة إلا بعد ما إقتربو إلى فهم الزهد الإسلامي ورفضوا الزهد الذى يدعو إلى الإعتزال كما كان في حركة الفرنسيسكان ودومينكان في العصور الوسطى.

---

١-علم الإجتماع الدينى ومشكلات العالم الإسلامى، د.أحمد محمد بيومى ص،٤٦٠ دار المعرفة الجامعية، ٢٠٠٤

٢-السابق ص ٤٦٦

٣-السابق ص ٤٦٨

٤-تاريخ التصوف الإسلامي من البداية حتى نهاية القرن الثانى، د.عبدالرحمان بدوى، ص،٢٦-وكالة المطبوعات -الكويت

## المبحث الثاني:مصادر الزهد بين الإسلام والمسيحية

مشكلة مصادر الأديان والمفاهيم التى لعبت دورا في الأديان والثقافات أصبحت موضوع البحوث العلمية والأكادمية خاصة بعدما بدأ علم الإستشراق في الغرب وظهور مناهج البحوث العلمية في دراسة الأديان، سواء كان بدافع الوصول إلى الحقيقة ( وإن لم يكن هذا دافعا أصليا عند المستشرقين عموما) أو بداوفع أخرى.

و من هذه الدراسات أخذ الإسلام حظا كبيرا سواء كان في العلوم الإسلامية مثل علم الكلام وعلم الفقه وعلم التصوف أو الإسلام نفسه كدين.

إذا كان البحث عن الإسلام نرى المستشرقين عموما لم يلتزموا بمنهج البحث العلمي الدقيق. عندما يتكلم د. حسن حنفى عن مشكلة المناهج في الدراسات الاسلامية ويشرح ماذا يعنى المنهج التاريخى والمنهج التحليلى والمنهج الإسقاطى يأتى إلى المنهج الذى يهمنا أكثر في هذا الموقع هو منهج الأثر والتأثر يقول: "يقوم منهج الأثر والتأثر بالمهمة الباقية وهى القضاء التام على ما تبقى من الظاهرة مفرغا إياها من مضمونها ومرجعا إياها إلى مصادر خارجية في بيئات ثقافية أخرى دون وضع أى منطق سابق لمفهوم الأثر والتأثر، بل بإصدار هذا الحكم دائما بمجرد وجود اتصال بين بيئتين وثقافتين وظهور تشابه بينهما مع أن هذا التشابه قد يكون كاذبا وقد يكون حقيقيا وقد يكون لفظيا، وقد يكون معنويا، [1] ويقول مبينا هدف المستشرق في هذا المنهج " ومن ثم كان منهج الأثر والتأثر يهدف أساسا إلى القضاء على أصالة الحضارات وقدرتها على التمثيل والتعبير والخلق وإلى القضاء على الظواهر المستقلة وقيامها من ذاته وإلى إرجاع كل شئ إلى مصادر خارجية، ومن ثم يقضى على فعل الروح وعمل الذهن. وهذا ما يهدف إليه المستشرق.[2]

وكثير من قبل هؤلاء المستشرقين وأتباعهم من المسلمين أرجع أصل الزهد إلى الأديان الأخرى وخاصة إلى المسيحية.

وهنا نذكر بعض النماذج من هذه الأقوال: يقول جولد سيهر " إن انتشار الإسلام وخاصة في الشام والعراق ومصر، أفسح للنفوس المتعطشة للزهد هذا المجال الروحى، وبسط رواقه إلى حد كبير، والتجارب التى تيسر لتلك النفوس اكتسابها بمخالطتهم المسحيين، أصبحت دون ريب مدرسة الزهد في الإسلام، ومنذ ذلك الوقت ظهرت هذه الميول النسكية في وضوح وجلاء، وبسطت نفوذها على آفاق أخذت يتسع شيئا فشيئا. وقد أكمل أصحاب هذه النزعة مذهبهم بما انتحلوه من شواهد وعبارات من

---

١ التراث والتحديد-ص، ٩٢

٢ التراث والتحديد-ص، ٩٦

العهد الجديد "، إذ إن أقدم مؤلفات الزهد في الإسلام تحوى وكما أوضح الأستاذ مرجليوث، شواهد خفية كثيرة منتحلة من اسفار الجديد.

وهناك مستشرق آخر يزعم أن الزهد لم يكن من خصائص الإسلام ويقول " ولم يكن الزهد من الخصائص التى أمتاز بها الإسلام ولا نبى الإسلام، فإن المأثور عن النبى أنه أخذ نصيب من جميع اللذات التى كانت في متناول يده، ولم يحرم على اتباعه التمتع بزينة الله التى أخرج لعباده والطيبات من الرزق.[1]

و يستمر في زعمه ويقول " وإذا غضضنا النظر عما ورد في القرآن من آيات تشير بصورة عامة إلى الدنيا وزخرفها، ويدعو إلى العمل الصالح والتوكل على الله لا على المال والجاه، فإننا لا نجد إلا قليلا من الآيات التى لها صبغة خاصة في الزهد.[2]

وهو بالطبع عندما لايرى حياة النبى والقرآن مصدرين أساسيين لظهور الزهد يرى العوامل التى شجعت على ظهور الزهد مثل الحروب الأهلية الطويلة الدامية وازدياد التراخى والاستهانة في المسائل الخلقية، وما عاناه المسلمون من عسف الحكام المستبدين الذين يملون إرادتهم وآرائهم الدينية على غيرهم ممن أخلصوا في الملامه.[3]

ويرى بعض من الزهاد الذين يعرفون باسم البكائيين ربما ترجع تسميتهم إلى رهبان المسيحية وثم يقول " ويجب ألا ننسى في هذا المقام أثر المسيحية في الزهد الإسلامى في هذا العصر المبكر فإن الأمر لم يقتصر على اللباس وعهود الصمت وكثير من آداب طريق الزهد التى يمكن ردها إلى أصل مسيحي، بل أننا نجد في أقدم كتب تراجم الصوفية - إلى جانب الحكايات العديده التى تمثل الراهب المسيحى يلقى المواعظ من صومعته أو عموده على زهاد المسلمين السائحيين في الصحراء أدلة قاطعة على أن مذاهب هؤلاء الزهاد كانت إلى حد كبير مستندة إلى تعاليم وتقاليد يهودية ومسيحية.[4]

هذه هى أفكار عامة لنيكولسون ونأتى إلى باحثة أخرى وهى مارجريت سميت. وهى رغم أن د. على سامى النشار يقول عنها" إنها من إحدى الباحثات الممتازات في حقل التصوف العظيم التى تحاول أن تلقى الضوء على الإتصالات الأولى بين المسلمين العباد وبين المسحيين وهى في كتابها (*The Way of The Mystics*) حينما تتكلم عن الإسلام والزهد تشبه أكثر من باحثه إلى من غرقت في خيالاتها. وهى في بداية بحثها عن الزهد والتصوف في الإسلام قبل حديثها عن تأثير الرهبانية على الزهد والتصوف تقول: أن المسيحية لها أثر في تطور دين الإسلام وترى أن هناك عناصر مسيحية في

---

١ فى التصوف الإسلامى وتاريخه، ص،٤٣،نيكولسون لجنة التأليف و الترجمة و النشر مصر

٢ السابق ص،٤٤.

٣ السابق ص،٤٦.

٤ السابق ص،٤٧.

الإسلام حتى في وقت الرسول صلى الله عليه وسلم وفى القرآن نفسه وفى الأحاديث. وهى تزعم أن الرسول صلى الله عليه وسلم أسس نظام الصوم والإعتكاف في شهر رمضان اتباعا للنساك النصارى الذين انعزلوا في الكهوف والصحراء.[1]

وترى تعاليم الرسول صلى الله عليه وسلم الأخروية متشابهة بتعاليم كنيسة سوريا في وقته ومن قبله. وهذا اللاهوت التى تعتمد على الخوف كان من خصائص الكنيسة السريانية بسبب تعلقها بمثالية الزهد التى تأثرت من رهبانية مصر.[2]

وهى تحاول أن تجد بين أقوال الرسول صلىالله عليه وسلم وأقوال عيسى عليه السلام لكى تثبت نظريتها التى قالت عنها في البداية إن الإسلام تأثر بالمسيحية.[3] وهى تزعم حتى اللغة التى استعملت لمفاهيم اللاهوتية والزهدية استعيرت من الكنيسة المسيحية.[4] وهى ترى أن خوف الحساب له أثر كبير على إرسال النصارى الأوائل إلى الصحراء وهذا الخوف أثر على محمد صلى الله عليه وسلم وأتباعه.[5]

وهى أيضا ترى أن أثر الإنجيل والزهد المسيحى على أخروية القرآن وإصراره على فناء هذه الدنيا وزينتها ودعوته إلى العيش للآخرة فقط واضح جدا وغنى عن الدليل.[6] وهى كما يظهر هنا لم تفهم القرآن. نعم القرآن أشار إلى فناء الدنيا وزينتها وبقاء الآخرة ولكن لم يدع أبدا إلى العيش للآخرة فقط كما فهم النصارى.

ولا نحتاج ذكر أفكارها أكثر من هذا، خاصة أفكارها عن الزهاد والمتصوفة. لأنه بعدما رأينا محاولة ارجاع القرآن والسنة وتعاليم الزهد إلى المسيحية، من الطبيعى أن ترجع أفكار الزهاد الذين كانوا يعتمدون على القرآن والسنة إلىالمسيحية والإنجيل. وهنا يظهر كيف الأوهام تؤثر على أحكام الناس وتأخذهم إلى عقلية بدائية.

بينما رأينا نيكولسون يحاول أن يخلع الزهد عن الإسلام وحياة النبى صلىالله عليه وسلم لكى يثبت نظريته أن الزهاد الأول تأثروا من المسيحية والرهبانية بدون أن يفهم ما معنى الزهد في الإسلام، مرجريت سميت تحاول بكل قوتها أن القرآن والأحاديث وحياة النبى صلى الله عليه وسلم مليئة بالزهد ولكنها أخذت من المسيحية وحياة عيسى عليه السلام. وكلا هما يدعيان العلمية والعلم منهم بريء.

---

1 *The Way of The Mystics*. By Margaret Smith. P.125
2 *Ibid*.p.126
3 *Ibid*., p. 134
4 *Ibid*.p.136
5 *Ibid*.p.138
6 *Ibid*.,.p.140

وإذا اعتبرنا نظرية سميت علمية ليس علينا إلا أن نتنصر جميعا ونرجع إلى أصل تعاليم الإسلام وهى المسيحية!

يبدوا أن خط سميت(أن القرآن تأثر من المسيحية) يستمر إلى الآن. يقول (Julian Baldick) في كتابه Mystical Islam بعدما يذكر التشابهات بين الزهاد والرهبان أن القرآن يتكلم عن المعاهدة بين الله والإنسان. وهنا يعلق " الملاحظ أنه ظاهرة مركز عليها في المسيحية الشرقية. ويقول أن القرآن يتكلم بإستمرار يركز على ظاهرة مسيحية وهى الذكر. ويبحث عن معان التى ذكرت في القرآن وهى موجودة في المسيحية.[1]

وهناك باحث آخر الذى كتب عن الزهاد الأوائل وعالم الرهبان. وهذه المقال جديد بنسبة كتابات نيكولسون وسميث ويبين لنا أن الخط الإستشراقى في فهم الزهد الإسلامى على أساس التأثير والتأثر مستمرة إلى وقت قريب وهؤلاء على دين آبائهم. وهو رغم أنه كما فعل الآخرون يذكر أثر اللقاءات بين الزهاد والرهبان وتأثر الزهاد من الرهبان وينقل من CF. P. Rousseau أن الهجرة من الممكن أن يكون لها علاقة بين الغزلةالرهبانية ( Muslim ascetics and Christian monasticism, p.199 ويذكر أيضا بعض الحقائق التى غفل عنها كثير من المستشرقين والمسلمين مثل أن الزهاد المسلمين كانوا مجاهدين في سبيل الله ليس فقط بفضلية الزهد (مثل الرهبان النصارى) بل بإشتراكهم الفعلى في الجهاد.[2] ويذكر وجود بعض الأغنياء بين الزهاد[3] ويذكر وجود العلماء الكبار بين الزهاد خاصة فىعلوم الحديث وفى نهاية مقالته يعترف أنه ليس هناك دليل قاطع على تأثر الزهاد من الرهبان ويقول" عامة بين أشكال الزهد والرهبان تشابهات رغم أن هناك دليل قليل للتأثر المباشر. الزهاد المسلمون كانوا شديدوا التعلق بالإسلام. دعوا الله واستلهموا بالقرآن وبالتطورات الدينية في داخل الإسلام. في الحقيقة مظاهر التعب للمسلمين مثل التوبة، والصلاة والصوم والصدقة - ربما تطور مستقلا. الملاحظة التى تقول أن في قضايا كثيرة ممارسة نصرانية ساعدت لإعطاء الشكل إلى نزعة إسلامية. ولكن ليس عندنا دليل مباشر لهذا.[4]

وهنا واجب علينا أن نسأل إذا لم يكن هنك دليل قطعي أو مباشر كما يقول لماذا تذكر كل هذه الإدعاءات ويجعل من هذه الإدعاءات مقالا. لأن هذه الإدعاءات ليست جديدة، تقريبا منذ نصف القرن تذكر ولم توجد أى دليل قطعى ومباشر على صحتها. عمل الباحث المتأخر أن يصحح أخطاء القدماء إذا وجدت وليس تكرارها بدون دليل.

---

1–*Mystical Islam*, Julian Baldick p. 25.
2 "Early Muslim Ascetics and the World of Christian Monasticism", *Jerusalem studies in Arabic and Islam* 20 1996 Jerusalem s.105-129.p.526.
3 *Ibid.*, p115.
4 "Early Muslim Ascetics and the World of Christian Monasticism", p.128-129.

كما رأينا في بحوثهم أن هناك بعض النقاط الأساسية:

١. الزهد ظهر بسبب انتشار الإسلام واللقاءات بين الرهبان والمسلمين في الشام والعراق

٢. هناك تشابهات بين الرهبان والزهاد في العمل هذا يدل على تأثير.

٣. المسلمون انتحلوا من العهد الجديد.

٤. الزهد ليس من خصائص الإسلام. الرسول صلى الله عليه وسلم أخذ نصيب من جميع اللذات ولم يحرم على أتباعه التمتع بزينة الله.

٥. فى القرآن الآيات التى لها صبغة خاصة في الزهد قليلة.

٦. العوامل التى شجعت على الزهد هى الحروب الأهلية وإزدياد التراخى

فى مسألة التأثير والتأثر واللقاءات لأستاذ د. كمال جعفر ملاحظة جيدة في البحث العلمى ويعطى لنا منهجية علمية بدلا من أن يرد على إدعاءات على حدة ويقول "فإذا حدثنا التاريخ عن لقاءات بين الزهاد المسلمين وبعض زهاد الملل الأخرى كالمسيحية والبوذية. ورأينا فعلا وجود بعض مظاهر تشابه لدى صوفية الإسلام ولدى هؤلاء الأجانب، فالواجب علينا أن نفرق بين الشكل الصورى المأثور وبين الجوهر المستور، ولننظر فيما إذا كان من الممكن أن يكون هذا الصوفى قد إعتمد في تجربته على نص قرآنى، وهل اعتماده عليه يبدو متكلفا أو أنه طبيعى. ثم يبحث أيضا فيما إذا كان هذا الصوفى قد أقتبس بعض الأقوال الأجنبية للاستأناس للرأى الإسلامى لا لتأسيس رأى أجنبى في الإسلام . فإذا ذكر لى باحث مثلا أن فلانا الصوفى قابل راهبا مسيحيا في صومعته وجرى بينهما حديث حول الزهد أو حول الإخلاص، ثم يستنبط من هذا وجود تأثير مسيحى في التصوف الإسلامى بناء على هذه القصة أوتلك، هذا الباحث في رأينا يختار الطريق السهل الكسول الذى لا يمكن أن يرضى رغبتنا في التحقيق والتعمق. فإن شخصين قد يلتقيان ويتنافسان ليجدا أنفسهما يدينان برأى واحد، كل منهما قد وصل إليه مستقلا، ولم يكتشفا أنهما يدينان بنفس الرأى إلا عند المناقشة، أم أن الأصح أن أقول على سبيل الاحتياط، ربما كان لقائهما المتبادل سببا في بلورة الرأى وظهوره بمظهر متوحد ولكل منهما نصيبه في هذا الجهد.

وليس معنى هذا أننا ننكر وجود آثار أجنبية في التصوف ولكننا ننكر قيمة معظم هذه اللآثار في التصوف، وسنرى أغلب هذه الآثار يمس الناحية النظرية الميتافيزقية في التصوف أكثر مما يمس الجانب العملى، بالرغم من الشواهد المكررة والتى يصر عليها أغلب الباحثين عن هذه الآثار في النواحى العملية. إننا نرى أننا لو صدقنا كل الآراء الخاصة بوجود آثار أجنبية في كل ناحية من نواحى التصوف، لخرجنا بهذه النتيجة المضحكة والمزرية معا، وهى أن التصوف الإسلامى قصاصات

ملتقطة من كافة الأرجاء والأنحاء والأديان، ثم لصقها وأظهارها ككل متوحد بمعجزة خارقة. وهذا كلام لا يقوله عاقل.[1]

وهو يقول في موضع آخر من كتابه عن قضية التأثير والتأثروالتشابهات. "فأوجه الشبه وحدها ليست الحكم الفاصل بل يجب أن يقرن إليها الخلفية التاريخية والشعورية فيما يدور حوله البحث. وقد يعيننا في هذا الصدد ما يذكره الصوفية أنفسهم من تأثرهم بهذا التيار أو ذاك خصوصا فيما أثار عطفتهم أو أشعل إلهامهم. وقد كثر الحديث عن تأثر صوفية الإسلام بغيرهم من الصوفية ذوى المذاهب المتعددة. وبعض هذا الحديث قد فقد وزنه الآن، وما تزال تتابع أدلة بطلانه، البعض الآخر يقف متأرجحا بين الصحة والبطلان حيث تتعادل الأدلة المثبتة والنافية. وقد نجد من المفيد هنا أن نعرض لصوفى شاعر خارج الإسلام يعترف في مقدمة كتابه بأن الصوفية المسلمين كانوا مصدر إلهامه. وقد لاحظ هذا الصوفى المسيحي أن صوفية الإسلام عبروا عن الحب بعبارات جمة، وضربوا الأمثال الجامعة المركزة التى تحتاج إلى شرح وتفسير حتى يمكن العقل والقلب أن يحلقا في آفاق الحب ويرتاد رياضة العطرة .. وهذا الصوفى المسحيى هو رومان لال R.Lull ١٢٣٣-١٣١٥م الذى يعترف بإقتباسه من صوفية الإسلام في موضوع يعتبر أساسا بالنسبة للمسيحية وهو الحب كما هو معلوم."[2]وإذا نأتى إلى مسألة الإنتحال هذه القضية تتعلق عموما بقضية تأثر القرآن من العهد الجديد. وهذا رفض بلأدلة من قبل العلماء مثل شيخ دراز فى كتابه المدخل إلى القرآن. على الرغم هذا نستطيع أن نقول جاء القرآن لكى يكمل الأديان. من أجل ذلك كل شيء لا يتعارض مع أسس الإسلام خاصة في مسائل الأخلاق وهو من الإسلام. المسلم لايرى مشكلة في أخذه وعيسى عليه السلام الذى جاء بالإسلام فى الحقيقة هو نبينا قبل ما يكون نبيا للمسيحيين الذين حرفوا رسالته وشخصيته. وإذا كان أى خير في دينه فنحن أولى به.

وإذا جئنا إلى النقطة الرابعة التى تقول أن النبى صلى الله عليه وسلم أخذ نصيبا من لذات الدنيا ومن أجل ذلك هو ليس زاهدا. وهنا نرى أنهم ينظرون إلى المسألة من مكان الذى يقفون فيه. يرون الزهد كما يفهمون ليس كما يفهم الإسلام ويقيسون المسألة على ما عندهم من الزهاد والرهبان وينسون أن زهد الإسلام لا يمنع الشخص من أن يأخذ نصيبا من الدنيا.

وفى النقطة الخامسة التى تقول أن الآيات التى تدل على الزهد قليل جدا. ولا أعرف على أى أساس يقول هذا. لأن الآيات التى تدل على الزهد في القرآن أكثر من العهد الجديد وأوضح ومحدد. من أجل ذلك لم ينحرف المسلمون في زهدهم على عكس الرهبان الذين كان ينقصهم عدم وجود الوضوح والصحة في مصادرهم.

---

١ التصوف طريقا وتجربة ومذهبا، ص، ١١١-١١٢

٢ المصدر السابق، ص ٨٠

وفى النقطة السادسة التى تقول أن الزهد ظهر بسبب الحروب الأهلية زعم باطل أيضا. لأن مفاهيم الإسلام تتميز بميزتين أساسيتين عموما. وهما التغير والإستمرار. وهى تتغير في الفروع حسب إختلاف الزمان والمكان ولكنه ثابت في الأصول ومستمر بدون إنقطاع. الزهد أصل من أصول الإسلام ومستمر إلى يوم القيامة. من أجل ذلك لا يمكن أن يظهر بسبب الأحداث ولكن ربما يتغير مظاهره وأشكاله حسب تغير الزمان والمكان. وحتى إذا إفترضنا أن الزهد والإنقطاع إلى العبادات ظهر بسبب الحروب الداخلية له أساس في الدين. لأننا أمرنا بالإبتعاد عن الفتن وكما ذكر في الحديث أن من يعبد الله في وقت الفتنة يأخذ أجرا أكثر.

قال الرسول صلى الله عليه وسلم "العبادة في الهرج كهجرة إلي".(صحيح مسلم)جاء في شرح الحديث "المراد بالهرج هنا الفتنة واختلاط أمور الناس. وسبب كثرة فضل العبادة فيه أن الناس يغفلون عنها، ويشتغلون عنها، ولا يتفرغ لها إلا أفرد.

إذا نظرنا إلى الرهبانية رغم أنها في بعض مبادئها مثل الفقر تجد مصدرا في المسيحية لكن على وجه العموم لا تجد مصدرا لجملة الرهبانية. ومن ناحية أخرى لا نجد لممارساتهم مثالا في المجتمع المسيحى الأول الذى التقى بعيسى عليه السلام. وهذا بالطبع يجرنا إلى بحث عن المصادر الأخرى.

يقول الأبوان يوسف قزى وإميل عقيقى أن هناك تأثيرات خارجية في ظهور الحياة الرهبانية. وهذه التأثيرات كما يلى.

١) يحمل العالم الهليني اليوناني، ضمن طيات فلسفاته المتعددة، تيارات فكرية وروحانية تدعو إلىاحتقار الجسد، ونبذ الثروات، واجتناب المجتمع، فسبيل الفوز بالاطمئنان الذاتي الذي يؤدي إلى اكتشاف الحقائق الروحية، والتي هي أساس وجود العالم، أمثال: الروحانية التحررية الأفلاطونية والتشدد الرواقي.

٢) التبادل التجاري بين العالم الهليني اليوناني والهندي سمح للأفكار التصوفية الهندية بالانتشار في البلاد المشرقية، وبنوع خاص في جهات سورية ومصر الواقعتين على تقاطع الطرق التجارية القديمة.

٣) لم يغب العالم اليهودي عن التأثر بالأفكار المتناقلة في العالم الهليني، فظهرت بعض الجماعات الدينية كالتي ذكرها فيلون الإسكندري ويوسيفوس، أمثال الشفائيين (les therapeutes) والإسينيين (les esseniens)، الذين كانوا خير من مثل الحياة التقشفية والابتعاد عن العالم وكما سنجد ذلك في المسيحية فيما بعد.[١]

---

١- الحياة الرهبانية ص، ١٢

ومارجريت سميث أيضا تشير أن في مصر(مكان ظهور الرهبانية) كانت ممارسات زهدية بين الوثنيين. وهذا الزهد الوثنى كان يشمل إعتزال في الكهوف وعدم الزواج رجالا ونساء.[1]

وهى تقول في مكان آخر أن المانية غالبا كان لها أثر في ظهور الزاهدين النصارى الشرقيين خاصة في سوريا.[2]

وهناك من يرجع الزهد الأرثوذكسى إلى اصول اريسطية "أخيرا لا بد أن نلاحظ إذا كان أكثر المفاهيم والاصطلاحت التى تتعلق بالمراقبة استلهم من الأفلاطونية فإن الأخلاق الأرثوذكسى والزهد استلهم من الارسطية .[3]

1- *The Way of The Mystics*, p.12

2- *Ibid.* p.27

3- *Ortodox spirituality* by a Monk of Eastern Church p.11-Society For Promoting ChristianKnowledge-1945

## أهداف الزهد والرهبانية

الذين يبحثون عن اللة تعالى في الأديان ويريدون أن يتعالون على الأمور الدنيوية يتفقون على هدف واحد وهو التقرب إلى الله تعالى ولكن يختلفون فى الوسائل والطرق التى يستخدمونها في وصولهم إلى هذا الهدف وماذا يقصدون بالتقرب إلى الله. و كلما تكون مصادرهم واضحة و صحيحة؛ بعيدة عن التحريف كلما تكون أهدافهم ووسائلهم صحيحة.

الزهاد المسلمون كانوا يعرفون أن إيثار الآخرة على الحياة الدنيا يقربهم إلى الله ويجعلهم محبوبين عند الله كما جاء في الحديث. وإذا كانوا محبوبين عند الله هم مع الله دائما كما جاء في الحديث "وإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وكنت بصره الذى يبصر به...إلخ.

والزهد بعدما أصبح جزءا من التصوف في السير إلى الله أصبح أحد المقامات أو الصفات التى ينبغى على السالك أن يتصف بها حتى يتخلص عن شهوات الدنيا وعن إغواءات الشيطان التي تريد أن تبعد الإنسان عن الله وتشغله بالدنيا. وهو أصبح حجر الأساس فى مجاهدة النفس وفى تزكيتها المطلوبة من العباد . قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا[1].

والرهبان أيضا يهدفون برهبانيتهم أن يتقربوا إلى الله بل يريدون أن يتحدوا به كما سبق بيانه في البحث. ولكن لا بد أن لا ننسى أن لديهم مفهوم خاص للإله مبنية على الشرك وعلى التثليث. وهم يعنون من الاتحاد بالله الاتحاد بعيسى عليه السلام. من أجل ذلك نرى عندهم الحث على التشبث بآلام المسيح في حين صلبه حتى يتحدوا به.

يجيب أحد الآباء على السؤال عن هدف الرهبانية " هدف الرهبانية هو للعبادة ولعل العبارة التى تجمع فلسفة الرهبنة في أصلها هى قول أحد الآباء: الرهبنة هى الانحلال من الكل للارتباط بالواحد."[2]

والوحي الأخير والمحفوظ القرآن الكريم يؤكد لنا أن الرهبان الأوائل إبتدعوا الرهبانية تقربا إلى الله ولكنهم ما رعوها حق رعايتها قال الله عز وجل (وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ

---

[1] - سورة الشمس،٩-١٠

٢- البابا شنودة و تاريخ الكنيسة القبطية-دار النشر هاتيه-الطبعة الرابعة-١٩٩١

إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا فَآتَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ)[1]

---

١-الحديد، ٢٨

## الخاتمة

بعدما درسنا الزهد بين الإسلام والمسيحية اقدم خلاصة ما انتهيت اليه من النتائج بإذن الله تعالى.

١) إن الزهد أساس من أسس الدين الإسلامي وقية من قيم أخلاق الإسلام.

٢) إن الزهد في الإسلام يعتمد في الأساس على مصدرين أساسيين وهما القرآن والسنة وما استنبط منهما علماء الإسلام .

٣) الذين قادوا حركة الزهد في الإسلام كانوا عالمين بالقرآن والسنة وأسس الإسلام وكان عندهم علما كافيا لكى يفرقوا بين السنة والبدعة وبين ما هو من الإسلام وما هو خارج الإسلام.

٤) إن الإسلام سمح للمؤمنين التعامل بالدنيا ولكن بشرط أن لا يكون المسلم غافلا عن الله. من أجل ذلك له علاقة قوية بالذكر.

٥) لمفهوم الزهد علاقة كبيرة بتزكية النفس التى طلب الله من المؤمنين لفلاحهم.

٦) مفهوم الزهد من ناحية الأخلاق يعتمد على عبودية الإنسان لربه وخلافته في الأرض كما يعتمد من ناحية العقيدة على التوحيد. من أجل ذلك له أبعاد عقدية، نفسية وفى نفس الوقت أبعاد اجتماعية. وهو بهذا المعنى لا يخرج عن إطار الدينى العام للإسلام.

٧) مفهوم الزهد في الإسلام متعلق بالقلب أكثر من تعلقه بالأعراض الدنوية. أصل محل الزهد القلب لا الدنيا الأرضية.

٨) الإسلام على رغم من سماحه بالتعامل مع الدنيا آثر الآخرة على الدنيا مطلقا. من أجل ذلك إذا تعارضت الدنيا مع الآخرة ينبغى على المسلم أن يختار الآخرة.

٩) إن أخذ المسلم نصيبه من الدنيا ليس ممنوع في الإسلام. ولكن أن يكون حريصا على الدنيا وأن يكون أسيرا للدنيا فذالك مذموم.

١٠) المرء في الإسلام مطالب بكسب حاجاته. فيما وراء ذلك مختار.

١١) لما كان مفهوم الزهد في الإسلام معتمدا على القرآن والسنة وغير معتمد على الأشخاص، فإنه وصل إلينا بدون انقطاع في التاريخ الإسلامى.

١٢) تطور الزهد في يد علماء المسلمين ولكنه لم يخرج عن دائرة الإسلام. رغم أن الزهد عاشه كثير من الفرق المبتدعه وهو تطور وتصفى وبقى اعتمادا على القرآن والسنة في يد علماء التصوف من أهل السنة وأصبح علما له أسسه وقوانينه حتى لا يدخل فيه المفاهيم الباطلة وحتى لايستطيع أن يزعم كل واحد التمسك بالزهد وهو ليس بزاهد. من أجل ذلك نستطيع أن نقول إنه بسبب جهد علماء التصوف بقى الزهد محفوظا عن الإنحرافات التى وقعت رهبان المسيحية.

١٣) والزهد في الإسلام لم يتأثر في الأمور المتعلقة بالأساس عن الأديان والثقافات الأخرى أبدا.

١) أما الزهد والرهبانية في المسيحية فيها اختلاف ظاهر عن نظيره في الإسلام في الأصول والفروع.
٢) الزهد في المسيحية مفهوم متغير لا ثابت كما كان في الإسلام. وهو في بعض الحالات يعتمد على الإنجيل ولكن في بعض الحالات لا يعتمد عليه.
٣) تحول الزهد إلى الرهبانية ما حدث إلا بسبب الضغوط السياسية والإجتماعية مثل الاضطهاد وعدم إستطاعة النصارى الإختلاط بالمجتمع الوثنى حولهم، وبسبب رد الفعل إلى دنيوية الكنيسة.
٤) النصارى لا يستطيعون أن يجدوا أساسا لإنعزالهم عن المجتمع وابتعادهم عن الزواج بعد ما لا نرى في حياة الحواريين الذين كانوا مع عيسى عليه السلام في أثناء دعوته، اعتزال عن المجتمع والإبتعاد عن الزواج.
٥) لأجل عدم اعتماد الرهبانية على وحى محفوظ نرى انها تأثرت بالثقافات والديانات التى كانت موجودة في الأماكن التى انشرت فيها المسيحية.
٦) الرهبانية في المسيحية تعتمد على فهم خاطء لتفسير مملكة الله ثم على مفهوم خاطئ آخر وهو التثليث والإتحاد بالمسيح.
٧) الرهبانية في المسيحية تعتمد أحيانا على الأشخاص. من أجل ذلك نرى بموت الشخص تنتهى حركته أو تضعف كما كان في حركة باخوميوس. رغم أنه انتشر بسرعة في مصر بعد موته سقط نظامه. وأحيانا نرى أختفاؤه التام كما حدث في الغرب بعد ظهور حركة الاصلاح (البروتستنتية). ودليل آخر أن الرهبانية متعلقة بالأشخاص إذ نرى أن في إفريقيا الشمالية لم تتقوى إلى أن أيدها القديس اوغسطين.
٨) الزهد في المسيحية مرتبط بأعراض الدنيا أكثر من القلب. من أجل ذلك نرى اعتزالهم عن العالم سمة منهجية وإلى الأبد وفى الإسلام هذا الإعتزال سمة مرحلية.
٩) الزهد في المسيحية بعيد عن الإعتدال بسبب عدم الوحى المعصوم الذى ينظم حياة الإنسان حسب حاجاته الأصلية.
١٠) الرهبانية والزهد في الإسلام يلتقيان فقط في الهدف وهو التقرب إلى الله مع إختلافهم في مفهوم الإله.
١١) فى المسيحية بعدما كان الزهد اختياريا بمرور الزمن أصبح إجباريا على الكهنة. ومن ناحية أخرى اصبح مقيدة بالمكان. لا أحد يستطيع أن يمارس الزهد إلا بين جدران الدير.

١٢) وفى النصرنية إذا نظرنا إلى أسباب الزهد والرهبنة مثل الإنتظار بمجيء عيسى عليه السلام ونهاية العالم والهروب من الإضطهاد والإحتجاج ضد الكنيسة التى إتفقت مع الدولة وإبتعدت عن المثل العليا للنصرانية وكانت تعتبر تجسد الإله على الأرض وكل هذه الأسباب تجعل نفسية متشائمة لا تترك أمامها إلا الهروب عن العالم. بعكس الزهد في الإسلام إذ بإرطباته بالعبودية والخلافة تعطى المسؤلية للمسلم ويمسكه بين المجتمع.

وأخيرا نتمنى من إخواننا الطلاب أن يستمروا فى مثل هذه البحوث العلمية فى الجامعة الاسلامية العالمية ويصلون إلى نتائج أعمق وأدق و يرفعون مستوى البحوث العلمية بشكل يستطيعوا بها حل مشاكل المجتمعات الاسلامية ويساهموا في نهضة الأمة الاسلامية فى الجانب العلمى.

## المصادر والمراجع

### المصادر العربية


١) القرآن الكريم

٢) الكتاب المقدس- كنيسة الأنبا تكلا هيمانوت – الإسكندرية – مصر- http://St-Takla.org

٣) ابن تيمية والتصوف د.مصطفى حلمي، دار الدعوة الاسكندرية، مصر(ب، ت)

٤) البابا شنودة وتاريخ الكنيسة القبطية، دار النشر هاتيبه، الطبعة الرابعة، ١٩٩١

٥) أحكام القران، ظفر أحمد عثماني، الطبعة الأولى، إدارة القرآن والعلوم الإسلامية، كراتشي١٩٨٧م.

٦) إحياء علوم الدين أبو حامد الغزالى، دار المعرفة، بيروت، لبنان

٧) أخلاق النبي صلى الله عليه وسلم في القرآن والسنة، د. أحمد بن عبدالعزيز بن قاسم الحداد، الطبعة الأولى، دار الغرب الاسلامي ١٩٩٦م.

٨) تاريخ التصوف الإسلامى من البداية حتى نهاية القرن الثانى د.عبدالرحمان بدوى، وكالة المطبوعات، الكويت (ب، ت)

٩) تاريخ الكنيسة القبطية، المتنيح القس منسى يوحنا، مكتبة المحبة، القاهرة، ١٩٨٣

١٠) تاريخ الكنيسة، جون لوريمر، دار الثقافة، القاهرة ١٩٨٢م.

١١) تاريخ رهبانية الراهبات الباسيليات الشويريات فى مرحلتها التوحيدية (١٧٣٠، ١٩٤٠) الاخت دانيال عون (ب، ت)

١٢) تحفة الأحوذي لشرح جامع الترمذي، محمد عبدالرحمن المباركفوري، تحقيق/عبدالوهاب عبداللطيف، الطبعة الثالثة، دار الفكر ١٩٧٩م

١٣) التراث والتجديد د. حسن حنفي، الطبعة الرابعة المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان ١٩٩٢

١٤) التعرف لمذهب أهل التصوف، ابوبكر محمد الكلاباذي، تحقيق محمود أمين النواوي، الطبعة الثانية مكتبة الكليات الازهرية القاهرة، مصر ١٩٨٠م.

١٥) تفسير التحرير والتنوير، شيخ محمد طاهر ابن عاشور، الدار التونسية للنشر، ١٩٨٤

١٦) تفسير القاسمي المسمى بمحاسن التأويل، محمد جمال الدين القاسمى، الطبعة الثانية وقف على طبعه وتصحيحه محمد فؤاد عبد الباقى دار الفكر بيروت، ١٩٧٨

١٧) التنوير في اسقاط التدبير، ابن عطاء الله السكندري(ت٧٠٩ هـ) دار الكتب العلمية بيرت، لبنان، ١٩٩٨م

١٨) جامع العلوم والحكم، ابن رجب الحنبلي، جمعية إحياء التراث ألإسلامية، ١٩٩٨م

١٩) جواهر المعاني وبلوغ المعاني في فيض سيدي أبي العباس التيجاني، دار الجيل بيروت، لبنان ١٩٨٨

٢٠) حلية الأولياء وطبقات الاتقياء، أبو نعيم الأصفهاني(ت٤٣٠ ه)تحقيق، مصطفى عبد القادر عطا دار الكتب العلمية بيروت، لبنان ١٩٩٧م

٢١) الحياة الرهبانية تاريخها.طرقها.قيمها، الابوان يوسف قزي وإميل عقيقي، دير سيدة النصر، نسبيه –غوسطا ١٩٩٥م

٢٢) الحياة الروحية في الإسلام، د. محمد مصطفى حلمي، الطبعة الثانية، الهيئة المصرية العامة للكتاب.

٢٣) حياة الصحابة، الشيخ محمد يوسف الكاندهلوي، تحقيق نايف العباس ومحمد على دولة، الطبعة الرابعة، دمشق، دار القلم، ١٩٨٦م.

٢٤) التصوف طريقا وتجربة ومذهبا، د . كمال جعفر، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية ١٩٨٥م.

٢٥) دليل إلى قراءة تاريخ الكنيسة، الآب جان كمبي دار المشرق، بيروت ١٩٩٤م

٢٦) الرسالة القشيرية، الإمام ابو القاسم عبد الكريم ابن هوازن القشيري، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة، مصر ١٩٥٩م

٢٧) الرهبانية المسيحية وموقف الاسلام منها، د. احمد على عجيبة، الطبعة الاولى ١٩٩٠م.

٢٨) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، الطبعة الاولى، دار المعرفة، لاهور، ١٩٨١م.

٢٩) علم الإجتماع الديني ومشكلات العالم الإسلامي د.أحمد محمد بيومى ص.٤٦٠ دار المعرفة الجامعية، ٢٠٠٤

٣٠) علم التصوف، د. محمد مصطفى، الطبعة الأولى، مطبعة السعادة؟، ١٩٨٣م

٣١) كتاب عوارف المعارف، عبدالقاهر بن عبد الله السهروردي، دار الكتاب العربي بيروت، لبنان ١٩٨٣م.

٣٢) فتح الباري بشرح صحيح البخاري، لأحمد بن على بن حجر العسقلاني، دار الفكر.

٣٣) فصول في التصوف، د. حسن الشافعي، دار الثقافة للنشر والتوزيع ١٩٩١م

٣٤) في التصوف والأخلاق، د. عبد الفتاح عبدالله بركة، الطبعة االأولى، دار الطباعة المحمدية، القاهرة، مصر ١٩٨٠م

٣٥) قوت القلوب في معاملة المحبوب ووصف طريق المريد إلى مقام التوحيد، أبو طالب المكى، دار صادر، بيروت، لبنان (ب، ت)

٣٦) قضية التصوف (المنقذ من الضلال)، د.عبدالحليم محمود، الطبعة الثالثة، دار المعارف مصر.

٣٧) كتاب الزهد لابن أبي الدنيا، دار ابن كثير القرشي، دمشق، بيروت ١٩٩٩م

٣٨) الزهد، الإمام أحمد بن حنبل، در الريان للتراث، القاهرة ١٩٨٧م

٣٩) كتاب الأدب الرهباني، الأب مبارك تابت الديراني اللبناني، ديرو مار انطونيوس لبنان ١٩٩٦م

٤٠) لسان العرب، ابن منظور، وضع فهارسه علي شيري، الطبعة الاولى، دار احياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ١٩٨٨

٤١) لمحات من الثقافة الإسلامية، عمر عودة الخطيب، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة السابعة، ١٩٨١

٤٢) اللمع لأبي نصر السراج الطوسي، تحقيق د. عبدالحليم محمود وطه عبدالباقي سرور، دار الكتب الحديثة بمصر

٤٣) في التصوف الإسلامي وتاريخه د.نيكولسون ترجمة وتعليق د.أبو العلاء العفيفي لجنة التأليف والترجمة والنشر مصر.

٤٤) مختصر منهاج القاصدين، ابن قدامة المقدسي، دمشق، مكتبة دار البيان، ١٩٧٨

٤٥) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، ابن قيم الجوزية، الطبعة الأولى، دار الكتب العربى بيروت، لبنان ١٩٧٣

٤٦) مدخل إلى التصوف الإسلامي، أبو الوفى الغنيمى التفتازانى، دار الثقافة للنشر والتوزيع القاهرة، مصر

٤٧) المسلمون وخريطة العالم الديني المعاصر، د.دين محمد، الطبعة الاولى ٢٠٠٤م، دار الهاني للطباعة، مصر.

٤٨) المسيحية نشأتها وتطورها، شارل جينيبر، الطبعة الثالثة، دار المعارف، القاهرة.

٤٩) المعجم الوسيط ابراهيم أنيس، دار المعارف، القاهرة، ١٩٧٨

٥٠) المقامات والأحوال، د. محمد مصطفى، دار الطباعة المحمدية ١٩٨٨م القاهرة.

٥١) المكتوبات، الامام فاروق السرهندي، مكتبة الفاتح، اسطنبول.

٥٢) من قضايا التصوف في ضوء الكتاب والسنة، د. محمد سيد الجليند، الطبعة الأولى ١٩٩٠ مكتبة الزهراء القاهرة، مصر

٥٣) الموسوعة الفكهية الميسرة، محمد رواس قلعةجي، بيروت ٢٠٠٠م

٥٤) حاشية العلامة مصطفى العروسي المسماة بنتائج الأفكار القدسية في بيان معاني شرح الرسالة القشيرية، لشيخ الاسلام زكريا بن محمد الانصاري، درا الكتب العلمية بيروت، لبنان ٢٠٠٠م

٥٥) نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام، د. علي سامي النشار، جـ٣، الطبعة الثامنة، دار المعارف، القاهرة.

٥٦) الوصايا، الإمام المحاسبي، تحقيق عبدالقادر احمد عطا – الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان ١٩٨٦

٥٧) نشأة التصوف، د. إبراهم بسيونى، دار المعارف بمصر، ١٩٦٩

**المصادر الانجليزية:**

1. *The Way of The Mystics* by Margaret Smith (London: Sheldon Press, ١٩٧٦
2. Benedictine orders http://www.ccel.org/b/benedict/rule2/rule.html. Dated August 25- 2005.
3. The Augustinian order www.geocities.com/Athens/1534/relaug.com Dated August 25 2005.
4. The life of saint pachomius www.nevadvent.org/cathen/11381.htm Dated August 25 2005.
5. *Mystical Islam* by John Baldick,(London,Tauris Parke Paperbacks,2000
6. "Early Muslim Ascetics and the World of Christian Monasticism", in *Jerusalem studies in Arabic and Islam*, No. 20 (1996) (Jerusalem), pp. 105-129.
7. *Christian Spirituality* Edited by Mcginn and John Meyendorff (London: Routledge and Kegan Paul, ).1986
8. *Christian Institutions* by Alexander V.G. Allen (New York: Charles Scribners Sons, 1897).
9. *Orthodox Spirituality*, A Monk of Eastern Church (Anonymous), Society For Promoting ChristianKnowledge ,1945.

*1. Dini Müceddidler, Şeyhulislam Mustafa Sabri,Sebil Yayınları,İstanbulö1977*

*2. İlahi Adalet, Şeyhulislam Mustafa Sabri,Pınar Yayınları,İstanbul,1996*

## المحتويات


| الموضوع | الصفحة |
|---|---|
| الإهداء | أ |
| شكر وعرفان | ب |
| المقدمة | ١ |

الفصل الأول

الزهد في الإسلام: مفهومه نشأته وتطوره

| | |
|---|---|
| المبحث الأول: الزهدفي القرآن والسنة وفي حياة السلف | ٥ |
| تعريف الزهد | ٥ |
| مصادر الزهد | ٦ |
| مفهوم الزهد في القرآن | ٧ |
| موقف المسلم من حياة الدنيا | ١٠ |
| موقف المسلم في حال الامتحان والفتنة بالدنيا | ١٣ |
| الزهد في حياة النبي صلى الله عليه وسلم | ١٥ |
| الزهد في حياة الصحابة | ٢٠ |
| زهد أبي بكر رضي الله عنه | ٢٠ |
| زهد عمر رضي الله عنه | ٢٠ |
| زهد عثمان رضي الله عنه | ٢١ |
| زهد علي رضي الله عنه | ٢١ |
| المبحث الثاني: المدارس الزهدية | ٢٣ |
| مدرسة المدينة | ٢٥ |
| مدرسة الشام | ٢٩ |
| مدرسة العراق | ٣٢ |
| مدرسة البصرة | ٣٢ |

مدرسة الكوفة..... ٣٥
مدرسة خراسان..... ٣٨
مدرسة مصر ..... ٤١
المبحث الثالث : تطور الزهد في المجتمع الإسلامي..... ٤٣
علاقة الزهد بتزكية النفس والمجاهدة..... ٤٥
المقامات والزهد..... ٤٦
الزهد عند الصوفية..... ٤٨
المعاني التي يشملها الزهد..... ٥٣
آثار الزهد على النفس والمجتمع..... ٥٧

## الفصل الثاني

## الزهد: مفهومه ونشأته وتطوره في المسيحية.

المبحث الأول: الزهدفي المجتمع المسيحي الأول..... ٦٠
عيسى عليه السلام..... ٦١
المبحث الثاني: الزهد في عصر الآباء..... ٦٦
المبحث الثالث: الزهد والرهبنة..... ٦٩
تطور الزهد إلى الرهبانية..... ٦٩
الرهبانية..... ٦٩
أسباب ظهور الرهبانية..... ٧٠
الاضطهاد..... ٧٠
عدم الرضا عن الكنيسة..... ٧٠
الطرق الرهبانية في الكنيسة..... ٧٢
التقليد المصرى..... ٧٢
الطريقة التوحدية..... ٧٢
الطريقة الجماعية..... ٧٣
الطريقة الجماعية-التوحدية..... ٧٣

التقليد السرياني الأنطاكي..... ٧٣
التقليد الكبادوكي البيزنطي..... ٧٤
التقليد اللاتيني الروماني..... ٧٤
المؤسسات الرهبانية مناهجهاوأسسها..... ٧٥
قوانين الرهبانية..... ٧٥
الأساس الأول: الفقر..... ٧٥
الأساس الثاني: الطاعة..... ٧٦
الأساس الثالث: العفة..... ٧٧

## الفصل الثالث

### الزهد: مقارنة بين المسيحية والإسلام

المبحث الأول: الأصول ومناهج الزهد في الإسلام والمسيحية..... ٨٢
المبحث الثاني:مصادر الزهد بين الإسلام والمسيحية..... ٨٦
أهداف الزهد والرهبانية..... ٩٤
الخاتمة..... ٩٦
المصادر والمراجع..... ٩٩
المحتويات..... ١٠٤